

الكتاب

رحلة إلى المجهول



مكتبة معروف

إچانا كرىستى

رحلة إلى المجهول

عمرو يوسف



مكتبة معروف

الإسكندرية، ٨٢٨-٤٨١ / ٤٨٤٦١٢٥ فاكس ٨٩-٤٨٦٠٠٠٨٩

القاهرة، ٣٦١١٢٢٩ ص.ب. ١٣٧٠ الإسكندرية

جميع حقوق الطبع محفوظة
للمركز العربي للنشر بالاسكندرية
معروف أخوان

الفصل الأول

شهدت العقود الأولى من القرن العشرين صراعاً رهيباً بين المعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفيتي والمعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية .. كان صراعاً شاملاً متواصلاً .. امتد عبر مختلف الدول ووصل إلى البحار والفضاء الخارجي من أجل بسط النفوذ وتحقيق السيطرة على الموارد وتأمين المواصلات ونشر الأفكار ...

وقد أثمرت هذه الفترة العديد من الأفكار والقصص الرائعة التي تجسد هذا الصراع وتضفي عليه لمسات من الإثارة والتشويق .. كان صراعاً بين جبابرة ، واستغاثت أجهزة المخابرات في هذه الدول بجيوش من العملاء المحترفين أصحاب المواهب الفذة والقدرات العالية

خلال هذا الصراع الملتهب اختفى العالم الانجليزي الفذ بيترتون فجأة بعد أن توصل إلى اكتشاف مثير في مجال الذرة ... ذلك الكشف السحري الذي قلب موازين القوى في العالم .. وبدأت عملية البحث عن بيترتون ...

بدا وجهه جامدا خالياً من التعبيرات وهو جالس إلى مكتبه شارد الذهن ..
لقد ظل يفكر طوال الساعات الماضية حتى شعر بالارهاق ...

كان رجلاً متوسط العمر لايمكنك تحديد سنه بدقة ... انه ليس كهلاً وليس
شاباً .. كانت بشرته غضة خالية من التجاعيد أما عيناه فتدل نظراتها على
الارهاق الشديد ...

وبجواره كان يجلس رجل نو طابع عسكري يبدو أكبر منه سناً .. يتميز
بشاربه الصغير ووجهه الأسمر وعصبية الواضحة ... كان يذرع الغرفة
جيتة وذهاباً وهو يكاد ينفجر غيظاً ...
قال أخيراً :

- متى ينتهى هذا العذاب ؟ ان كل ما يصل إلينا مجرد تقارير جوفاء
لا تعنى شيئاً ولا تمكثنا من اتخاذ أى اجراء .
كان زميله يطالع تقريراً عليه الكلمات (بيترتون ، توماس شارل) . رفع
وجهه وقال لزميله :

- ألم تجد شيئاً هاماً فى هذه التقارير ؟
- انها تبدو غامضة إلى حد ما ... معك حق فما زال الأمر يكتنفه
الغموض .

انفجر غيظ الرجل العسكرى وكان يدعى الكولونيل "هوراتون" وقال :
- كلها تقارير ... من روما ... من تورين ... من الـريفيرا ... من
انتويرب ... من اوسلو ... من بروكسل ومعه شقراء جميلة ... من

ستراسبورج ومعه كلب .. ما هذا ؟ انه عبث

قال مستر "جيسوب" بهدوء :

- لا تصدر أحكاماً متسرعة يا "هوراتون" .. ألم يلفت نظرك أى شئ فى هذا التقرير الوارد من "انثويرب" ؟ !

- ان الأمر محير للغاية .. لابد أن نعرف كيف اختفى هذا العالم وأين ولماذا ؟ هل هو نفسه الذى نراه أم لا ؟ من الذى يعبث بنا إلى هذه الدرجة المؤلمة ؟

هل قرأت التقرير الوارد عنه من أمريكا ...

- نعم ... ميول يسارية غير واضحة أو ثابتة مثل كثيرين غيره .. قام ببعض الأعمال ذات الطبيعة الخاصة قبل الحرب ، التقى "بمانهايم" بعد هربه من ألمانيا وعمل مساعداً له ثم تزوج ابنته فى النهاية ، وأخيراً توصل إلى اكتشافه المثير بتفتيت الذرة وحقق شهرة طاغية وأصبح من أشهر العلماء فى العالم ...

عقب الزواج توفيت زوجته ابنة العالم "مانهايم" فحزن عليها حزناً شديداً ثم جاء إلى إنجلترا وعمل فيها لمدة ثمانية عشر شهراً ، ومنذ حوالى سنة تزوج للمرة الثانية ...

قال "هوراتون" :

- ماذا نعرف عن زوجته هذه ؟

-لأنعرف الكثير .. انها ابنة محام وكانت تعمل فى إحدى شركات

التأمين ولا توجد لها اية ميول سياسية أو نشاطات حزبية ...
- أظنه كان يعمل فى منطقة " هارويل " .. فماذا يقولون عنه ؟
- يقولون انه يتمتع بشخصية لطيفة ، وقد أدخل بعض التعديلات على
جهاز تفتيت الذرة ...

وبعد صمت فقد قال " هوراتون " :

- من الطبيعى انه خضع للمراقبة الدقيقة منذ أن وطأت قدماه انجلترا؟
- نعم ، ولم نجد ما يثير القلق .
- لا شك أنه ضاق بهذه المراقبة الدائمة المتواصلة ليل نهار ... ان
إجراءات الأمن تحطم الأعصاب وتبعث فى النفس رغبة قوية على الهروب ...
نعم ان وجود الإنسان تحت المراقبة يدفعه أحيانا للقيام بتصرفات شاذة
لا يتوقعها أحد ...

ربما تراعت له بعض الأحلام الوردية فى التوصل الى عالم مثالى يسوده
السلام ويخلو من الحروب والصراعات وتتعاون فيه الدول على حل المشاكل
الصعبة والوصول إلى صيغة مثلى للتعايش ، وعندما يصل إلى هذه الدرجة
يكون من السهل أن يسيطر عليه من يريدون السيطرة على العالم وتدمير
البشرية تحت هذه الدعاوى البراقة والشعارات الجذابة التى تخدع عقول
الأغبياء .

- معك حق .. ولذلك يجب أن نعرف كل شئ عن " بيترتون " حتى الأشياء
الصغيرة التى يظنها البعض تافهة مثل الأشياء التى تسعده وتلك التى

تجعله حزيناً مكتئباً .. نوعية الأشخاص الذين يميل إليهم وأولئك الذين يثيرون غضبه وغيرها من الأشياء البسيطة التي تكشف لنا عن طبيعة شخصيته ومفاتيحها ...

قال الكولونيل " هوراثون " :

- ماذا عن زوجته .. هل قمت باستجوابها ؟

- بالطبع .. لقد استجوبتها عدة مرات .. - وهل حصلت منها على شيء ذي قيمة ؟

- لاشئ حتى الآن .. إننى واثق انها تعرف بعض الأشياء رغم أنها لم تذكرها أى شئ سيكون له قيمة بالنسبة لنا ... مثلاً ملاحظتها الزوجها فى الفترة الأخيرة وهل كان يبدو مكتئباً أو حزيناً .. هل تعرض لضغوط ما من أى جهة ...

وهى تعتقد أن زوجها قد تم اختطافه !!

- هل صدقتها ؟

- اننى كما تعلم لا أصدق تلك الأشياء بسهولة ...

قال " هوراثون " :

- ان الأمر يحتاج لمزيد من التحريات والبحث .. ولكن ما رأيك فى زوجته؟

- مجرد زوجة عادية تماماً من هذا النوع الذى تقابله فى الأندية ...

- إن هذا يجعل مهمتها أكثر صعوبة إنها تنتظر بالخارج الآن

حتى أسمع لها بمقابلتى .. سوف أعيد استجوابها ...

قال الكولونيل " هوراتون " :

- لا داعى لوجودى معك الآن فلا يوجد شئ جديد تناقشه ...

- معك حق ... ولكننى أرجو أن تدرس التقرير الوارد من وارسو بعناية
وتجربى المزيد من التحريات عن المعلومات التى به فربما كانت تمثل بداية
طيبة لنا ...

- أتمنى ذلك ..

ثم غادر الغرفة واستدعى مستر " جيسوب " مسز " بيترتون "

كانت مسز " بيترتون " امرأة طويلة القامة تناهز السابعة والعشرين من
عمرها شعرها أحمر اللون جميل الشكل ...

تأملها الرجل فوجد أن وجهها يخلو من كل آثار الماكياج مما أثار
انتباهه وجعله يتخيل أنها تحاول إخفاء شئ ما ...

فمن واقع خبرته الطويلة فى هذا العمل تعلم ان المرأة مهما اشتد حزنها
لاتهمل زينتها حتى لا يبدو شكلها دميماً منفراً بشعاً فتحاول التغلب على ما
أفسده الحزن باستعمال الماكياج ، أما تلك التى تهمل زينتها فلا شك انها
تريد الايحاء للجميع بأنها حزينة مهمومة لا تجد فرصة للعناية بنفسها ...

رحب بها مستر " جيسوب " ودعاها للجلوس فقالت بلهفة :

- أرجو أن يكون لديك أخبار عن زوجى يامستر " جيسوب "

- للأسف الأنباء التي لدى ليست واضحة كما ذكرت لك في رسالتي التي دعوتك فيها للحضور إلى المكتب

- أعلم ذلك يا سيدى .. ولكننى كنت أتمنى أن تكون هناك أحداث لا حقة وقعت بعد أن أرسلت إلى الرسالة ، ورغم ذلك فإن الحضور إلى هنا يسعدنى ويجدد الأمل فى نفسى ، لأن البقاء في البيت يثير أحزاني ويجعلنى أتعذب فى كل لحظة ...

قال مستر " جيسوب " :

- أنتى أسف لأنتى مضطر لإعادة الحديث حول زوجك مستر " بيترتون " مرة أخرى .. ان كل كلمة أو إشارة قد تكون هى مفتاح اللغز ، وربما نسيت شيئاً خلال المرات السابقة ويمكن أن تذكره الآن ...

- إننى تحت أمرك يا سيدى .. يمكنك إلقاء ما تشاء من أسئلة ...

- رأيت زوجك لآخر مرة فى الثالث والعشرين من شهر أغسطس ؟

- نعم ...

- وقال انه سوف يغادر انجلترا ويذهب إلى باريس لحضور أحد

المؤتمرات ؟

- نعم

- وبالفعل سافر زوجك إلى باريس وحضر جلسات المؤتمر خلال اليومين

الأولين فقط ، وفى اليوم الثالث لم يحضر الجلسة وذكر لأحد زملائه أنه

سوف يذهب فى رحلة نهريّة عبر نهر السين

- ماذا تقول ؟ رحلة نهريّة !!

- هذا ما علمناه قال إنه سيذهب فى رحلة نهريّة فى أحد القوارب التى تعمل بهذا الغرض فى نهر السين أخذ مستر جيسوب يتفرس فى وجهها وهو يقول :

- يبدو أنك دهشت لهذا التصرف من قبل زوجك ؟

قالت بعد أن ترددت قليلاً :

-ان هذا يدهشنى بالفعل لأنه كان شديد الاهتمام بحضور المؤتمر وكان يعلق عليه أهمية كبيرة

-ربما ، ولكن موضوع جلسة ذلك اليوم لم يكن يهـمه كثيراً وربما فضل النزهة على الذهاب إليها حتى يحصل على بعض الراحة .. ولكن الغريب أن يهتم زوجك بالرحلات فجأة ...

- نعم ...

قال " جيسوب " :

- وقد اختفى زوجك فى تلك الليلة ، فلم يعد إلى الفندق ، كما أنه لم يعبر الحدود بطريقة عادية أى باستخدام جواز سفره ...

هل يمكن أن يكون لديه جواز سفر باسم مستعار ؟

قالت على الفور :

- كلا ... ولماذا يفعل ذلك ؟

- هناك أسباب كثيرة ، ولكن ألم تلاحظي مثل هذا الجواز فى أمتعته يوماً ؟

- كلا يا سيدى - ان هذا مستحيل ولا يمكن أن يفعل زوجى ذلك ، كيف تتصور أنه يغادر باريس سراً بهذه الطريقة العجيبة ؟ من المؤكد أن حادثاً ما قد وقع له ... وربما فقد ذاكرته

- فى الفترة الأخيرة هل كان يتمتع بصحة جيدة ؟

- نعم ... كانت حالته عادية تماماً رغم أنه كان يرهق نفسه فى العمل إلا أنه لم يعان أكثر من الإرهاق ...

- هل بدا عليه القلق أو الاكتئاب مثلاً ؟ ...

- كلا ... كان يبدو طبيعياً تماماً ...

ارتعدت أصابعها وهى تفتح حقيبتها وتتناول منديلها لتضعه على وجهها ثم قالت بصوت متهدج :

- ياله من أمر فظيع ياسيدى ...أننى لا أكاد أصدق كل هذا ... انه كابوس فظيع .. لا يمكن أن يغادر باريس بدون أن يخطرنى ...ان هذا مستحيل وأخشى أن يكون قد تم أختطافه أو وقع عليه اعتداء ... ياإلهى... هل يمكن أن يكون قد قتل !!

- أرجو أن تهدئى تماماً يا مسز " بيترتون " ولا تجعلى الأفكار السوداء تسيطر عليك ..

ولا شك أنه ما زال على قيد الحياة لأن جثته لم تظهر ...

قالت بجزع :

- ليس من الضروري أن تظهر جثته ، فقد يكونوا قد ألقوه في أحد الأنهار وأثقلوا جثته بالحجارة حتى لا تظهر ... ان هذا يحدث كثيراً ، وهناك عشرات الوسائل للتخلص من الجثث ...

- لا تكونى متشائمة إلى هذا الحد يا سيدتى ...

رفعت مسرّ "بيترتون" المنديل عن عينيها وقالت بغضب :

- سيدى ... انتى أعرف تماماً ما تفكر فيه ، ولكننى أؤكد لك أن زوجى لا يمكن أن يبيع ما لديه من أسرار خطيرة بكنوز الدنيا .. انه لم يكن شيوعياً او يمينياً متطرفاً ... إنه كان يمقت الفريقين ولايمكن أن يتعامل معهم

انتهر "جيسوب" الفرصة وقال :

- وما هى ميوله السياسية ؟

- كان دائماً معتدلاً سواء فى أمريكا أم هنا فى انجلترا .. وهو فى جميع الأحوال لا يهتم بالسياسة على الإطلاق ...

ثم قالت بلهجة تنطوى على التحدى :

- زوجى كان عالماً فذاً مرموقاً .. عالماً يشار إليه بالبنان .. وهذا أهم شئ ...

قال "جيسوب" :

- معك حق ... وتلك هى المشكلة .. فمن ضمن الاحتمالات القائمة ان هناك من عرض عليه مبلغاً ضخماً ليغادر البلاد ويعمل فى منطقة أخرى ...

ظهر الغضب واضحاً على وجهها ثم قالت بانفعال :

- ان هذا غير صحيح بالمرة يا سيدى ... إنها الاشاعات الصحفية الكاذبة وهى أيضاً أفكاركم التى تحاولون إقناعى بها ولكنها غير صحيحة .. أؤكد لك أنها غير صحيحة .. لا يمكن لزوجى أن يرحل أو يتخذ هذا القرار الخطير بدون أن يخطرني .. ان هذا مستحيل ...

- أرجو أن تحاولي تذكر كل ما قاله لك خلال الأيام الأخيرة .. ألم يتحدث عن شئ عن الرحيل مثلاً أو عن العمل فى مكان آخر ؟
أخذ يراقبها بعناية ويدرس انفعالاتها ...

أجابت قائلة :

- كلا ... لم يتحدث عن شئ أبداً .. ولا أعرف الآن عنه أية معلومات ..
أشعر بأنه قتل أو تم اختطافه ...

- نقى تماماً يا مسز " بيترتون " إننا نبذل أقصى ما فى وسعنا للعثور عليه ومعرفة الحقيقة ، إن عملاًنا يرسلون إلينا بالتقارير من جميع المناطق
قالت بحدة :

- ماذا تحتوى عليه هذه التقارير ؟

- اننا مازلنا ندرسها لنعرف حقيقة ما ورد بها فهى غير واضحة بدرجة كافية ...

قالت بلهجة تنطوى على اليأس :

- أرجو أن تذكر لى بعضاً مما ورد فى هذه التقارير ياسيدى .. انني

أكاد أختنق

قال " جيسوب " :

- ان مهمتى الآن هى وضع صورة واضحة لزوجك أمامى حتى يمكننى العمل بطريقة صحيحة ..

أريد أن أعرف أى نوع من الرجال هو ويجب أن تساعدنى فى ذلك بقدر استطاعتك ...

- لقد قلت لك كل ما أعرف وليس لدى المزيد ...

- أريد منك موقفاً أكثر إيجابيه .. لا أريد إجابات بنعم أولاً .. ولكن أريد تحليلاً لشخصية زوجك ومحاولات للنفاذ إلى دخيلة نفسه .. أيد أن أعرف أى نوع من الرجال هو ...

وبعد قليل من التفكير قالت :

- حسناً إن زوجى رجل يميل إلى المرح .. طيب القلب كما كان بارعا فى عمله

قال جيسوب ضاحكا : أريد أوصافاً أكثر خصوصية .. ان كل ما نكرته يعتبر أوصافاً عامة تنطبق على ملايين البشر ..

سوف أوجه إليك أسئلة أكثر دقة .. هل هو يحب المطالعة ؟

- للغاية .. إنه مولع بالقراءة ..

- ماذا يقرأ ؟

- سير حياة المشاهير .. كتب الاجتماع .. أحيانا القصص البوليسية

وقصص الجريمة ...

- أهي انه يعتبر قارئاً تقليدياً .. هل يلعب الورق أو الشطرنج ؟
- يلعب البريدج ، ودائماً ما نلتقى بالدكتور " ايفانز " وزوجته لنلعب
سويّاً

- هل يوجد له أصدقاء كثيرون ...
- نعم .. انه رجل اجتماعي لا يحب العزلة ويحرص على الاختلاط
والحياة الاجتماعية ...

- هل له اصدقاء قريبون ...
- واحد أو اثنان من الجيران يلعب معهم الجولف .
- ألا يوجد له أصدقاء قدامى مثلاً ؟
- كلا فقد ولد في كندا ثم رحل إلى الولايات المتحدة وقضى بها
سنوات طويلة ثم جاء إلى هنا ولذلك فليس له أصدقاء في إنجلترا ... نظر
"جيسوب " في ورقة على مكتبة قم قال :

- أمامي تقرير عن بعض الأشخاص الذين قاموا بزيارة زوجك .. خلال
الأيام الأخيرة زاره ثلاثة أشخاص من الولايات المتحدة وهي المرة الأولى
التي يزوره فيها أجنب ، ولذلك فنحن نهتم بأمرهم الأول هو والتر جريف
الذي زاركم في هارويل ...

- نعم .. لقد زارنا هذا الرجل في هارويل ...
- ماذا كان رد الفعل لدى زوجك وقتها ؟
- دهش في البداية ، ولكنه كان سعيداً للغاية لأنه كان من أصدقائه
المقربين في الولايات المتحدة ...

- ما رأيك في " جريفيث " يامسز "بيترتون " .
- من المؤكد انكم تعرفون عنه أكثر ما أعرف
... بالطبع فنحن نعرف عنه الكثير ولكن هذا لا يمنع من معرفة رأيك فيه
...

أطرقت قليلاً ثم قالت :

- انه رجل جاد للغاية يجعلك تشعر بالملل ، عاملنى بتحفظ شديد
وحرص على أن يكون مهذباً للغاية ومجاملأ ، ويبدو أنه كان يكن لزوجي حباً
كبيراً ويرغب في أن يحدثه عن الكثير مما حدث في الولايات المتحدة منذ أن
غادرها زوجي " توم " إلى إنجلترا .. كانت كلها أحاديث حول أحداث محلية
وأشخاص لا أعرف عنهم شيئاً ثم نهضت لأعداد العشاء وتركتهما يواصلان
الحديث .. ويستعيدان الذكريات ...

- هل تحدثنا في السياسة ؟

احمر وجهها وقالت :

- يبدو أنك تريد معرفة حقيقة ميول " جريفيث " .. هل هو شيوعي أم
يميني متطرف ... أننى واثقة تماماً انه رجل معتدل ، وأظن انه يعمل في
مكتب النائب العام ...

- حسناً ... ننتقل الآن إلى الزائر الثانى من الأجانب ... إنه الدكتور
«ماك لوكاس» ...

لقد زاركم فى فندق بورسيت ...

- نعم ... لقد التقينا بهذا الرجل فجاءه بعد أن خرجنا من المسترح ..
وهذا الرجل عالم كيميائي وقد التقى بزوجي في الولايات المتحدة ، ومن
المؤكد أنك تعرف انه ألماني الأصل لجأ إلى الولايات المتحدة ، وحصل
على الجنسية الأمريكية

- نعم ... هل دهش زوجك " توم " لرؤية الرجل ؟

قالت على الفور :

- نعم ... دهش للغاية ...

- هل شعر بالسرور للقائه ؟

وبعد تردد قالت :

- اه ... نعم ... أعتقد ذلك ...

- يبدو إنك غير متأكد من هذه الإجابة .. أليس كذلك ؟

- ربما ، فقد أخبرني " توم " بعد ذلك أن الرجل ليس من أصدقائه
المقربين وأنه لا يهتم به كثيراً

- ترى هل تم اللقاء صدفة حقاً أم انه تم وفقاً لتخطيط سابق ؟

- أعتقد أنه حدث بالصدفة ..

قال " جيسوب " :

- والزائرة الثالثة كانت سيدة تدعى مسز " كال سبيدر " وهي أمريكية

أيضاً .. فأرجو ان أعرف منك تفاصيل تلك المقابلة ...

قالت مسز "بيترتون" :

- كانت موظفة بالأمم المتحدة وتعرفت بـ "بتوم" أثناء إقامته بأمريكا ..
وعندما وصلت إلى إنجلترا اتصلت به تليفونياً وطلبت منه تحديد موعد لتناول
معه الغداء ولكننا رفضنا دعوتها ...

قال "جيسوب" بلهجة طبيعية :

- تقصدين انك لم تلبى الدعوة وان زوجك هو الذى ذهب بمفرده ؟
حملت فيه بدهشة وقالت :

- ماذا تقول ؟

شعر "جيسوب" بأنها خدعت فقال لها :

- ألم يخبرك مستر "بيترتون" بأنه ذهب لزيارة مسز "كارول سييدر" ؟
- كلا ...

شعر الرجل بالحزن من أجلها وهى تبدو قلقة ومرتبكة ثم قالت :

- لست أدري لماذا لم يحدثنى بذلك ؟ ان هذا شئ غريب ...

- فى يوم الأربعاء الموافق الثانى عشر من أغسطس تناول معها الغداء
بفندق نور سيت حيث كانت تقيم ...

رددت قوله :

- الأربعاء الموافق الثانى عشر من أغسطس !!!

فى هذا اليوم قال إنه سيذهب الى لندن ولكنه عندما عاد لم يتحدث عن

زيارته لها .. ترى ما شكل هذه المرأة ؟

أدرك مسز " جيسوب " أنها تفكر كأنثى تغار على زوجها فقال :

- إنها إمراة عادية تماماً لا يوجد فيها ما يجذب الرجال ، فى الثلاثين من عمرها ، يبدو عليها الإرهاق من كثرة العمل ، ولا يوجد أى دليل على أنها صديقة حميمة لزوجك وهذا ما يدعو إلي التعجب ...

فلماذا أخفى عنك أمر زيارته لها ؟ !

أرجو ان تعودى بذاكرتك إلى هذا اليوم يا مسز " بيترتون " وتذكرى كل ما حدث بالتفصيل .. هل لا حظت أى تغير فى سلوك زوجك ؟

- كلا على الإطلاق .. كان يتصرف بطريقة عادية للغاية ولم ألاحظ عليه أدنى تغيير وفى هذه اللحظة رن جرس التليفون فالتقط " جيسوب " السماعة وسمع السكرتير يقول :

- يوجد رجل يريد أن يقابلك بخصوص موضوع مستر " بيترتون " ...

- ما اسمه ...

فدون الاسم فى ورقة أمامه وسأله :

- هل هو بولندى ؟

- لا أدرى .. إنه يتكلم الانجليزية بلكنة أجنبية ولكنه يتكلم بطلاقة ...

- سوف أقابله بعد قليل .. ويعد أن انتهى من المكالمة دفع بالورقة إلى

مسز " بيترتون " وسألها قائلاً :

- هل تعرفين صاحب هذا الاسم ؟

وما أن طالعت الاسم حتى انقلبت سحتتها وبدأ عليها شئ من القلق والخوف للحظات قصيرة ..

ثم قالت :

- نعم ... نعم أعرفه .. لقد وصلني منه خطاب بالأمس فقط .. إنه ابن خالة زوجة " توم " الراحلة ، وقد وصل الي انجلترا منذ فترة قصيرة وأظهر اهتماماً شديداً بموضوع اختفاء " توم " ، وسألني في رسالته عن معلوماتي عن هذا الموضوع وعما إذا كانت هناك أنباء عنه ...

- ألم يحدثك زوجك عنه من قبل ؟ وهل سبق لك رؤيته ؟

- كلا .. ولم يسبق لي رؤيته في أى مكان ...

- هناك احتمال أن يكون منتحلاً لتلك الشخصية

- لم يخطر هذا ببالي .. كانت الزوجة الأولى لـ " توم " ابنة للبروفسير "مانهايم" وهو اجنبى كما تعلم ومن خلال الخطاب أدركت ان هذا الرجل يعرف كل شئ عن توم وزوجته السابقة .. ولكن لماذا يدعى إنه قريب زوجة " توم " السابقة ؟

- إنك تسألين نفس الأسئلة التى نسألها لأنفسنا فى كل لحظة .. لماذا ؟

وما الهدف من وراء ذلك ؟ اننا إذا عرفنا الإجابة عن هذه الأسئلة سوف نعرف أين هو توم ...

قالت مسز " بيترتون " :

- لقد ضيقت ذرعاً بهذا الوضع وأصابنى الملل ، إن أصعب شئ أن يكون كل عملك هو الانتظار .. أريد أن أسافر إلى الخارج من أجل التغيير والترفيه عن نفسى قليلاً .. إننى أكاد أختنق هنا وأنهار تماماً .. نعم سوف تنهار أعصابى حتماً إذا بقيت هنا ، وقد أشار على الطبيب بضرورة السفر لمدة أسابيع من أجل إراحة أعصابى .. ها هو خطاب الطبيب ...

طالع " جيسوب " الخطاب ثم أعاده إليها فسأله قائلة :

- هل يسمح لى بالسفر الآن ؟

قال لها بدهشة :

- لا يوجد أى مانع فى سفرك على الإطلاق يا مسز "بيترتون" ...

- كنت أظن انكم سوف تعترضون على ذلك ...

- كلا .. اننا فقط نريد أن نعرف إلى أين سترحلين حتى يمكننا الاتصال بك إذا وردتنا أية أنباء عن زوجك ...

- سوف أسافر إلى أسبانيا أو المغرب لأستمتع بالشمس المشرقة ..

- أتمنى لك رحلة سعيدة ...

وعندما انصرفت كانت علامات القلق والأضطراب واضحة على وجهها ...

بعد انصراف مسز " أوليف بيترتون " استدعى " جيسوب " الزائر الأجنبى الذى صافح الرجل وقدم نفسه اليه قائلاً :

– أنا الميجور " جلايدر " ومعى خطاب من السفارة الأمريكية ...

تناول " جيسوب الخطاب وطالعه بسرعة ثم وضعه أمامه وسأله ...

– هل يمكننى أن أقوم لك بأى خدمة ياميجور ؟

– لقد جئت من الولايات المتحدة مباشرة وعلمت نبأ الاختفاء المثير

لـ "توماس بيترتون" ولكن المرء لا يستطيع تصديق كل ما تذكره الصحف ،

فجئت إليك لأعرف الحقيقة حيث يقال إنك أنت الوحيد الذى لديه معلومات

صحيحة ..

قال جيسوب :

– للأسف ليست لى معلومات أكيدة عن "بيترتون" حتى الآن ...

– لقد ظننت أنه مكلف بمهمة ذات طبيعة خاصة فى الخارج .. أقصد

مهمة سرية ...

قال " جيسوب " بهدوء :

– ان " بيترتون " عالم وليس عميلا سريا أو دبلوماسيا حتى يتم تكليفه

بمهمه سرية .. – لا يوجد أى مانع من ذلك يا سيدى لا شك انك تتساعل

الآن عن سر اهتمامى بـ " توماس بيترتون " .. وأقول لك ان هناك صلة

قاربة بيننا عن طريق الزواج ...

–أظن انك ابن أخت البروفسير " مانهايم " .. أليس كذلك ؟

– وكيف عرفتكم ؟ اننى لم أصل إلى هنا الا منذ وقت قصير !

ابتسم " جيسوب " وهو يقول :

-لقد عرفت ذلك منذ دقائق عن طريق الصدفة .. كانت مسز " بيترتون " هنا فساالتها عنك وقالت انها تلقت منك رسالة ...

- نعم .. كنت أريد أن أساعدها وأقف بجوارها وأعرف آخر الأنباء ..

كانت والدتي هي الأخت الوحيدة للبروفسير " مانهايم " وكانت العلاقة بينهما قوية للغاية ، وخلال طفولتي كنت أقضى معظم الأوقات فى بيت خالى وألعب مع ابنته " الزا " ، وبعد وفاة أبى انتقلنا للإقامة فى بيت خالى بصورة دائمة وقضيت أجمل أيام حياتى ، عندما اندلعت الحرب هرب خالى إلى أمريكا واصطحب معه ابنته " الزا " بينما بقيت أنا فى بولندا والتحقت بالمقاومة السرية ، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها سافرت إلى خالى وابنته فى أمريكا ..

وبعد ذلك قررت تصفية أعمالى فى أوروبا والإقامة فى الولايات المتحدة بصورة دائمة حتى أعيش بالقرب من خالى وابنته وزوجها ، ولكن من سوء حظى أن خالى توفى فى حادث سيارة بمجرد وصولى إلى أمريكا وبعد ذلك توفيت " الزا " ابنته ورحل " توماس بيترتون " إلى إنجلترا وعلمت أنه تزوج للمرة الثانية .. وهكذا أصبحت أنا وحيداً بلا أسرة

وطالعت فى الصحف نبأ اختفاء العالم " بيترتون " وعلى الفور حضرت إلى إنجلترا للوقوف بجانب زوجة وتقديم أى مساعدة ممكنه ..

أريد أن أعرف يا مستر " جيسوب " لماذا اختفى " بيترتون " ؟
قال " جيسوب " :

- ليتنى أعرف

- من المؤكد أنك تحصر الشبهات فى أشياء معينة ..

- هذا شئ طبيعى ، ولكن اختفاء " بيترتون " ليس هو الحادث الأول من هذا النوع ...

- نعم .. لقد قرأت كثيراً عن حوادث اختفاء مماثلة وغامضة ...

ثم عدد " جلايدر " بعض الحوادث المشابهة خلال الفترة الأخيرة وقال :
- ومن العجيب أن كل الذين اختفوا كانوا من العلماء !

لم يعقب " جيسوب " فقال الرجل :

- ترى هل اختطفهم الشيوعيون ...

- هذا احتمال ، وقد يكون ذلك بفعل إحدى الجماعات اليمينية المتطرفة
والتي تعمل بطريقة سرية ، وهناك احتمال آخر هو أنهم شعروا بالملل من
عملهم فسافروا إلى جهات غير معلومة ..

قال جلايدر بخبث :

- ولكنهم ذهبوا بإرادتهم طبعاً !

- من الصعب الإجابة على هذا السؤال .. ولكن ما هو سر اهتمامك
الشديد وغير العادى بـ " توماس بيترتون " رغم انه كان زوج أختك الراحلة ،
كما أنك لم تلتق به فى حياتك ؟ !

- اننا معشر البولنديين نقدر الروابط الأسرية إلى حد لا تتصوره ،
وهذه الروابط تفرض علينا التزامات قوية للغاية ...

ثم نهض " جلايدر " وقال بجفاء :

- اننى أسف لإضاعة وقتك يامستر " جيسوب " وأشكرك على مقابلتى ..
قال " جيسوب " :

- كنت أتمنى أن أقدم إليك أى مساعدة ولكننى بالفعل لا أعرف أى معلومات مؤكدة ، وأرجو أن تترك لى عنوانك حتى أتصل بك إذا ما وصلتنى أية معلومات

- يمكنك الاتصال بى فى السفارة الأمريكية ... ثم حياه وانصرف ...
بعد انصرافه اتصل " جيسوب " بالكولونيل " هوراتون " فى مكتبه وقال له :إن الأحداث بدأت تتصاعد .. لقد طلبت مسز " بيترتون " السماح لها بالسفر للخارج ...

- ترى هل تنوى اللحاق بزوجها فى مكان ما ؟
- أتمنى ذلك ... كان معها تقرير طبي ينصح بالسفر إلى الخارج للاستجمام .. يمكن أن يكون الأمر حيلة منها ويمكن أن تكون أعصابها مرهقة فعلاً ..

- وهل تمكنت من معرفة أى معلومات منها ؟
- شئ واحد فقط وهو أن زوجها أخفى عنها زيارته للأمريكية مسز "سبيدر"

- ترى هل توجد علاقة بين تلك المقابلة وبين اختفائه ...
- هذا جائز بالطبع ، فكما تعلم فقد تم استجواب مسز " سبيدر " أمام

إحدى اللجان في الولايات المتحدة ولكن ثبتت براءتها ...

- هل تلقت مسز " بيترتون " أى تعليمات من الخارج بالسفر ؟

- لم يتصل بها أحد أو يزورها فى بيتها ، وبالأمس وصلتها رسالة من رجل بولندى وهو ابن خالة الزوجة الأولى لـ " توماس بيترتون " ، ومنذ قليل كان هذا الرجل بمكتبى يسأل عن " توماس "

- هل يمكن أن يكون هو الذى طلب منها السفر للخارج ؟ لابد من وضعه تحت المراقبة ...

- لقد فعلت هذا حيث ضغطت على الجرس السرى مرتين بعد انصرافه.

- إلى أين تريد مسز " بيترتون " السفر ؟

- إلى أسبانيا أو المغرب .. ليتنى أستطيع الحصول على اجازة أنا أيضاً ..

- وتذهب إلى أسبانيا والمغرب !!

الفصل الثانى

كانت مذيعة مطار هيثرو بلندن تعلن عن قيام الرحلة رقم ١٠٨ إلى باريس نهض المسافرون المتجهون إلى باريس إلى الطائرة التى وقفت على أرض المطار فى انتظار لحظة الاقلاع ...

نهضت " هيلارى كرافن " وحملت حقيبتها الصغيرة الحجم واتجهت إلى جموع المسافرين شعرت بالبرودة تتسلل إلى عظامها بمجرد أن توسطت المطار الفسيح فأحكمت إغلاق المعطف الفراء حول عنقها ...

أخيراً سوف تبتعد عن هذا الجو البارد الكثيب وتترك السماء الغائمة وتذهب إلى الشمس المشرقة والسماء الزرقاء الصافية والحياة الدافئة ... انها تتوق إلى الانطلاق والتحرر من هذه الأثقال والتخلص من القيود التى تكبلها

أنهت إجراءات سفرها بسرعة ثم صعدت إلى الطائرة وجلست فى المقعد المخصص لها ... استرخت تماماً فى المقعد وشعرت بالراحة لأول مرة منذ فترة طويلة

قالت لنفسها :

- أخيراً سوف ابتعد .. سأهرب من كل هذا العذاب.. لماذا تأخرت
الطائرة فى الإقلاع ...

ماذا لو حدث ما يعطل الرحلة ؟

طردت عن نفسها هذه الوسوس وأخيراً سمعت صوت هدير المحركات
فقالت :

- سوف يتحقق الحلم أخيراً ...

وبدأت الطائرة تنطلق بسرعة متزايدة بينما شد جميع المسافرين أحزمة
الآمان ...

وبعد أن دارت الطائرة نصف دورة مكثت قليلاً فى انتظار الإشارة
المتفق عليها للإقلاع فعاود " هيلارى " الشعور بالقلق وقالت لنفسها :

- هل يمكن أن تتحطم الطائرة ؟ لا بأس أيضاً بهذا الحل .. ان هذا
ينهى جميع المشاكل بطريقة رائعة ...

كانت لحظات الانتظار شاقة للغاية عليها وتخيلت أنها أمضت دهرأ
تنتظر الإقلاع

قالت تخاطب نفسها :

- من الواضح اننى لن أرحل من هنا .. يبدو أنه كتب على أن أعيش فى
هذا العذاب إلى أن تأتى النهاية ...

ولكن المحركات بدأت تهدر مرة أخرى وانطلقت الطائرة بسرعة فوق
الممر ثم بدأت ترتفع تدريجياً ...

قالت هيلارى : ترى هل يحدث ما يعطل الطيران ؟ هل ترتطم الطائرة
بشئ ؟

ولكن الطائرة أقلعت بسلام ورأت " هيلارى " كل شئ على الأرض
يتضاغل أمام ناظريها حتى صارت المباني الضخمة تبدو كنقطة صغيرة
للغاية ، كما تضاعلت همومها و أحزانها أيضاً ... وشعرت أنها تحلق فوق
قمة العالم .

بعد قليل وجدت قطعاً كبيرة من السحب الفضية أسفل الطائرة فأدركت
أنها تحلق فوق بحر المانش ...
أغلقت عينيها واسترخت تماماً ..

أخيراً غادرت انجلترا ولن تعود إليها ... تركت " ناجيل "
وابتعدت تماماً عن تلك المنطقة الحزينة التى تضم قبر " بريندا "
كانت تريد أن تبتعد عن كل ذلك بسرعة ...
وسرعان ما غلبها النعاس ...

أفاقت " هيلارى " وهى تشعر بهبوط الطائرة ... قالت لنفسها :
أخيراً وصلت الطائرة إلى باريس .
شعرت بالفرحة الطاغية فحملت حقيبتها ، نهضت من مقعدها فرحة ونزلت
إلى أرض المطار لتستقل السيارة ... ولكن ... ما هذا ؟ !

إن هذه ليست باريس !! إنها تعرف باريس جيداً ولا يمكن أن تكون هذه هي باريس ترى ماذا حدث ؟

جاءت المضيئة إلى سيارة الاتوبيس وقالت :

- نظراً لكثافة الضباب في باريس وتعذر الهبوط هناك فقد هبطنا مضطرين هنا في " بوفيه " ...

انطلقت سيارة الاتوبيس خلال الضباب الذي كان يكتنف المنطقة وحاولت " هيلارى " أن ترى أى شئ دون جدوى ، فقد كان الضباب كثيفاً

بعد قليل توقفت السيارة أمام مبنى خشبي متهاك لا توجد به إلا عدة مقاعد خشبية قديمة ...

شعرت " هيلارى " بالانقباض الشديد وهي ترى هذا المنظر .. إنه منظر يثير الضيق والأكتئاب وسمعت الرجل الذي يجلس إلى جوارها يقول :

- من الواضح ان هذا مطار حربي قديم لا توجد به أية وسائل للتدفئة أو الراحة ، ولكن الفرنسيين كرماء لن يبخلوا علينا بالطعام والشراب ...

وبعد قليل جاءت زجاجات الشراب ...

خلال الساعات التالية كانت الطائرات تتوافد علي مطار بوفيه وتكدس الركاب في هذه الاستراحة الرديئة وبدأ التذمر وتعالص صيحات الغضب وساد الجميع شعور بالقلق لتأخرهم عن أعمالهم

وفي المساء جاءت سيارات الاتوبيس لتتنقل المسافرين إلى باريس عبر الطريق البرى ، كانت رحلة شاقة في ظروف سيئة حيث انحسر عدد كبير

من المسافرين في كل سيارة في رحلة استغرقت حوالي أربع ساعات
وصلوا في نهايتها الى باريس وكاد الليل ينتصف وتنفس الجميع الصعداء
...

شعرت " هيلارى " بالسعادة الطاغية وهي تصل إلى باريس بعد هذه
الرحلة الشاقة والمعاناة الشديدة .. حملت حقبيتها وأشارت إلى سيارة
أجرة وأمرت السائق أن يذهب إلى الفندق التي حجزت إحدى غرفه لقضاء
الليلة .

نامت نوماً عميقاً بعد أن تناولت العشاء وحصلت على حمام ساخن ...
في صباح اليوم التالي ذهبت إلى مطار أورلى بباريس حيث كان مقرراً
أن تستقل الطائرة المتجهة إلى مطار كازابلانكا بالمغرب في العاشرة
والنصف ، ولكنها وجدت المطار في حالة سيئة للغاية .. فوضي وارتباك
وصراخ ...

الجميع يروحون ويفدون بعصبية ومسافرون يصرخون بمختلف اللغات
وقد بدت علامات الغضب الشديد علي وجوههم ...

الطائرات متكدة على أرض المطار وكل شيء مكس بلا نظام ..
ارتبكت كل مواعيد الطائرات بسبب الضباب وعندما سألت هيلارى
موظف الاستعلامات عن طائراتها قال :

- لا يوجد أى مقعد خال على الطائرة التي سبق لك الحجز فيها ، عليك
الانتظار في الاستراحة حتى يخلو أحد المقاعد في طائرة أخرى ..

لم تجد أمامها سبيلاً سوى الانتظار ... لقد انتظرت طويلاً خلال الفترة الماضية وإن يضيرها الانتظار ساعات أخرى خاصة وأنها ابتعدت عن انجلترا وأصبحت في باريس ؛ أصاحت السمع فوجدت اسمها يتردد ... ذهبت إلى مكتب الاستعلامات فقبل لها أن هناك مقعداً خالياً على الطائرة المتجهة إلى دكار ، ويمكنها الهبوط في كازابلانكا ولكن هذا سيجعلها تتأخر ثلاث ساعات عن موعدا هناك ... اعترضت على ذلك فقال لها الموظف :

- للأسف لا حيلة لي في الأمر .. هذا أقصى ما يمكن أن نقدمه لك اليوم في ظل هذه الظروف العصيبة واضطرت للقبول

وأخيراً هبطت في مطار كازابلانكا وهناك أخبرها أحد العاملين بأنها سعيدة الحظ لأن الطائرة الأصلية التي كان من المفروض أن تسافر عليها تحطمت ومات جميع ركابها عدا أربعة أو خمسة نقلوا إلى المستشفى في حالة سيئة ...

وعلى عكس ما توقع الرجل بدا الحزن على وجه هيلاري وقطبت جبينها غاضبة وهي تقول لنفسها :

يا للحظ السيئ ... لماذا لم أركب هذه الطائرة ؟ ليتني كنت فيها لانتهى كل شيء ولاسترحمت من هذا العذاب إلى الأبد ... لماذا لم أتمسك بمقعدي في الطائرة ... لماذا ؟ لا شك أن جميع ركابها كانوا متمسكين بالحياة فماتوا ... أما أنا فأتمنى الموت ولذلك كتبت لي الحياة ...

انها لا تحلم بأجمل من هذا .. ومن أجل هذا الدفء والجمال رحلت عن انجلترا ... بل انها هربت من تلك الكأبة التي سيطرت عليها هناك

بعد لحظات قليلة أصبح المنظر مألوفاً لديها وعادت الكأبة تخيم عليها مرة أخرى .. وأدركت الحقيقة الأليمة .. ان الحزن هنا في صدرها وليس في انجلترا .. ان آثار الصدمة الرهيبة لا يمكن أن تمحي من نفسها بسهولة .. فأين المفر ؟

حقاً كان قبر العزيزة " بريندا " هناك في انجلترا ، و " نايجل " أيضاً سوف يتزوج امرأة أخرى في انجلترا ، ولكن يمكن أن تنسى كل ذلك هنا بالمغرب ؟

ألا يريد هذا الماضي التعس أن يتخلى عنها ؟ هل سيظل يطاردها بأشباحه المزعجة طويلاً ؟ كيف تنسى ؟

انها الحبوب المنومة ... انبوية كاملة تبتلعها من هذه الحبوب كفيلا بأن تجعلها تفقد الحياة بدون ألم ... وعلى الفور اتجهت إلى الصيدلية لشراء هذه الحبوب حتي تستريح من آلامها ...

تمنت " هيلارى " الموت فلم تحقق أميتها ، مات كل زملائها في الطائرة الأصلية التي كان يجب أن تركبها وكتبت لها النجاة .. وعندما قررت أن

تسعى إلى الموت وجدت ان الأمر مستحيل بواسطة الحبوب المنومة لقد رفض الطبيب ان يعطيها علبة كاملة من الحبوب إلا بواسطة تذكرة طبية ولم يسمح لها الا بحبتين فقط فتناولتهما منه وانصرفت ...

وبينما كانت تغادر الصيدلية كادت تصطدم رجلاً طويل القامة عليه سيماء الوقار فاعتذر لها بالانجليزية بطريقة مهذبة ، وسمعتة يسأل الصيدلى عن نوع من معاجين الأسنان ، ولكنها ما كادت تسمع اسم المعجون حتى اعتصر الحزن قلبها ... كان هو نفس النوع الذى يفضلهُ " نايجل " !!

ان كل شئ يعيد إلى ذهنها ذكرى المأساة ...

اتجهت إلى صيدلية قريبة وحصلت على حبتين أخريين من المنوم ليصبح معها أربع حبات ، ولكنها فى الصيدلية الثالثة لمحت نفس الرجل المهذب الوقور يسأل عن المعجون !!

عات إلى الفندق فتناولت طعام العشاء فى قاعة الطعام فوجدت القاعة شبه خالية ولمحت لدهشتها الرجل الوقور مرة أخرى جالساً إلى مائدة بعيدة وهو يتناول الطعام وأمامه صحيفة فرنسية يطالعها ...

لم تأبه بشئ وتناولت طعامها بشهية ثم صعدت إلى غرفتها وقررت أن تتناول كل الحبوب المنومة التى ابتاعتها من أربع صيدليات .. لابد أن ينتهى كل شئ فلا سبيل إلى الفرار إلا بالموت .. وضعت الحبات الثمانية على المائدة وأخذت تتأملها قليلاً ...

لم تشعر بالخوف أو التردد لحظة واحدة .. فهى تشعر بأنها ميتة منذ

رحيل "بريندا"

إن الأمر في غاية البساطة ... مجرد ابتلاع هذه الحبات ببعض الماء ثم
الراحة التامة بعد ذلك ...

أما شعورها الديني فقد توارى بعد أن ماتت "بريندا"

لابد أن تسارع بتناول الحبوب قبل أن يعرقل خطتها أي شيء ...

رفعت يدها إلى فمها بالحبّة الأولى ولكن في نفس اللحظة سمعت نقرات
خفيفة على باب الغرفة فتجمدت يدها بالحبّة في الهواء ..

لزمت مكانها وظلت تنتظر .. فلا شك أن الطارق سوف يضطر
للانصراف في النهاية إذا لم يجد استجابة

ولكن الطاق لم ينصرف بل واصل طرقاته علي الباب بصوت أعلى ..

اتسعت عيناها من فرط الدهشة وهي تري المفتاح يدور في ثقب الباب ثم
يسقط على الأرض محدثاً رنيناً مزعجاً ورأت مقبض الباب يتحرك ببطء ...

وبعد لحظات دخل رجل إلى الغرفة ..

إنه نفسه الرجل الوقور الطويل القامة الذي يجوب الصيدليات باحثاً عن
معجون الأسنان .. عقد الرعب لسانها وهي تراه يلتقط المفتاح ثم يفلق
الباب بعناية ويعبر الغرفة ويتجأ إليها ويجلس علي أحد المقاعد ويقول :

- لاداعي للقلق يا سيدتي .. أنتى أدعى "جيسوب" ..

أحمر وجهها من شدة الغضب وقالت بحدة :

- كيف سمحت لنفسك أن تتسلل إلى غرفتي بهذه الطريقة ؟ ماذا تريد ؟
تأملها قليلاً ثم قال :

- إن هذا شيء عجيب .. لقد جئت لكى أسألك ماذا تفعلين هنا ؟
نظرت إليه وقد عقدت الدهشة لسانها ثم قالت أخيراً :

- إننى لا أفهم أى شيء ؟ نظرت إلى الحبوب المنومة التى وضعتها على
المنضدة وقال :

- إن الأمر ليس بهذه البساطة التى تتخيلين .. فلن نتناولى الحبوب ثم
ينتهى كل شيء بسهولة .. كلا .. إن الذى يحدث عكس ذلك تماماً .. فسوف
تعانين من آلام مبرحة وتقلصات رهيبية يصاحبها قي وتشنجات ، وربما كان
جسمك من النوع الذى يقاوم المخدرات وهنا لن يبدأ مفعول الحبوب إلا بعد
فترة طويلة تتتابك فيها آلام مروعة ولن تتمالكى نفسك من الصراخ فيهرعون
إليك وينقلونك إلى المستشفى وتجربى محاولات لإنقاذك ، وهى تتضمن
أشياء مؤلمة للغاية مثل غسيل المعدة والمحاليل التى تساعدك على القي
وغيرها من ألوان العذاب التى لا تخطر ببالك ...

ما رأيك ... هل أنت على استعداد لكل ذلك ؟

تنفست مسز " كرافن " الصعداء ثم استرخت فى مقعدها وابتسمت
بمرارة ثم قالت :

- هل ظننت إننى أفكر فى الانتحار ؟ إنها حقاً فكرة سخيفة

ضحك الرجل وقال :

- إننى لم أظن .. إننى على يقين أنك قررت الانتحار .. كان الأمر فى غاية البساطة ..

دخلت إلى صيدلية فوجدتك تطلبين الحبوب المنومة بإلحاح ثم دخلت صيدلية غيرها فوجدتك تكررين نفس الطلب مما لفت نظرى وقررت أن أتعبك لأعرف ماذا ستفعلين و من الطبيعى أن أعرف فيم تفكرين ...
قالت " هيلارى كرافن " بصراحة :

- قد يمكنك الآن أن تمنعنى من الانتحار وتلقى بالحبوب بعيداً ، ولكنك لن تتمكن من ذلك غداً أو بعد غد ، وإن يمكنك أن تلازمنى طيلة الليل والنهار حتى لا ألقى بنفسى أمام سيارة مسرعة أو أقفز من النافذة ...

- هناك شئ هام يحدث من المنتحرين وهو أن الإنسان قلما يكرر محاولة الانتحار بعد أن يفشل فيها لأنه يعود إلى رشده فى اليوم التالى ..
قالت " هيلارى " بلهجة تتطوى على اليأس و الألم :

- لا يحدث هذا إلا إذا كان المنتحر فى حالة يأس مفاجئ ، أما فى حالتى فقد استقر عزمى على الانتحار بعد تفكير طويل وبلا أى انفعال .. ما الذى يجعلنى أظل على قيد الحياة يامستر " جيسوب " ؟
لقد انتهى كل شئ ...

كنت أحب زوجى إلى درجة العبادة وأتفانى فى الاخلاص له ولكنه هجرنى بطريقة مهينة ، وابنتى الوحيدة التى كانت كل حياتى ماتت بمرض الالتهاب السحائى ، وليس لى أصدقاء أو أقارب ، وليست لى أية هوايات

تشغل ذهنى فلماذا أعيش ؟

وبعد قليل قالت له بحدة :

- هل يمكن الآن أن تنصرف وتدعنى وشأنى يامستر " جيسوب " ؟

- سوف أنصرف ولكن عندما يحين الوقت المناسب .. أننى لم أبدأ

حديثى بعد ...

نظرت إليه باستغراب ولكنه استطرد قائلاً :

-لقد علمت انك تكرهين الحياة إلى هذه الدرجة البشعة ولكن لماذا قررت

الانتحار بواسطة الحبوب المنومة ؟

قالت بدهشة :

- لست أفهم ماذا تعنى !!

- لقد ذكرت لك منذ قليل ان هذه الوسيلة لا تضمن لك النجاح فى

الانتحار و إذا فشلت فسوف تتعرضين للآلام رهيبية تجعلك تتدمنين ، إما أن

تلقى بنفسك أسفل قطار أو من النافذة فذلك لا يضمن لك الموت وقد

تصابين بعاهة مستديمة تحيل حياتك إلى جحيم ...

إن هناك طرقاً أفضل كثيراً للانتحار وهى مضمونة النجاح ...

- وما هى ؟

- أنها طرق حافلة بالمتعة والآثارة ، حتى إذا نجوت من الموت

فستشعرين باللذة والآثارة التى تجعل لحياتك معنى مختلفاً تماماً وتجعلك

تنسين همومك ...

بدأت الجدة على وجهها وسألت :
- إاذنى لا أفهمك يا مستر " جيسوب " ...

قال وهو ينظر إليها نظرة فاحصة :
- أريد أولاً أن أقص عليك قصة صغيرة حتى تدركى ماذا أقصد فهل
أنت مستعدة للاستماع إلى؟

- نعم

- من المؤكد أنك قرأت فى الصحف ما يقال عن اختفاء بعض العلماء
خلال الفترة الأخيرة ، وآخر هذه الحوادث هى حادثة اختفاء عالم الذرة
الشهير " توماس بيترتون "

قالت :

- نعم لقد طالعت هذه الأنباء وأثارت قلقى ...

- وكما تعلمين إن بلدنا لا تفرض أى قيود على سفر مواطنيها ، ويمكن
لمن يشاء منهم أن يرحل إلى أى مكان يشاء ، أما بالنسبة للعلماء فى
المجالات الحساسة فلا بد أن نعرف على الأقل أين ذهبوا ولماذا اختفوا
بهذه الصورة المفاجئة ؟

وهل حدث ذلك طواعية أم ان هناك من أجبرهم على الرحيل أو أختطفهم
وهل هناك تهديدات تلقوها ؟

وما هو الطريق الذى سافروا من خلاله ؟ وما هى طبيعة المنظمة التى
تتولى هذا العمل ؟ وما هو هدفها ؟

ان الأمر على درجة عظيمة من الخطورة ولا بد أن نعرف الإجابة على كل هذه الأسئلة وهذا أمر شاق كما ترين ، وبإمكانك مساعدتنا في هذه المهمة..

هتفت " هيلارى " قائلة :

- أنا ؟ وكيف يمكننى ذلك ؟

قال " جيسوب " :

- لقد اختفى " توماس بيترتون " منذ حوالى شهرين فى مدينة باريس بينما ترك زوجته فى مدينة لندن ، وبدا على الزوجة الحزن الشديد كما لو كان الأمر يمثل صدمة شديدة زلزلت كيائها ، وأقسمت انها لا تعرف شيئاً عن مكانه أو عن ظروف إختفائه ، وربما كانت صديقة ولكننى أعتقد انها كاذبة !!!

ولذلك وضعناها تحت الرقابة الدقيقة ، وقد استدعيتها إلى مكتبى منذ حوالى أسبوعين فقالت ان اعصابها على وشك الانهيار وان الطبيب نصحها بالسفر للخارج حتى تستجم وقدمت إلى تذكرة طبية تتضمن ذلك ، وان هذا ضرورى لها حتى تتجنب كثرة الأسئلة من الصحفيين والمحيطين بها ...

وقد غادرت مسر " بيترتون " انجلترا إلى كازابلانكا بالامس ...

قالت " هيلارى " بضيق :

- وما علاقتى أنا بكل هذا ؟

قال " جيسوب " ضاحكاً :

إن لك علاقة وثيقة به .. هل تعلمين لماذا ؟
لأن شعرك أحمر مثلها تماماً ...
- أنك تتحدث بالألغاز يامستر " جيسوب " ..
- إن أهم علامة تميز مسز " بيترثون " هو شعرها الأحمر القاتم وهذا ما يميزك أنت كذلك ...
- إنها صديقة عادية تحدث كثيراً ولا أهمية لها ...
- ارتفع صوت " جيسوب " قليلاً وهو يقول :
- كلا ... إن لهذا الموضوع أهمية قصوى .. فقد تحطمت طائرة كازابلانكا التي كانت مسز " بيترثون " تستقلها ومات معظم ركابها ، أما هي فقد تم إخراجها من بين حطام الطائرة وتم نقلها إلى المستشفى فى حالة سيئة للغاية ويقول الأطباء إنها لن تعيش إلا ساعات معدودة فقط ...
بدأت عيناها تتألقان لأول مرة بوميض الفهم استطرد " جيسوب " قائلاً :
- سوف تموت غداً على الأكثر، ورغم ذلك فسوف تواصل رحلتها وتصل إلى كازابلانكا ... هل تعلمين لماذا ؟
لأنك أنت ستقمصين شخصيتها !!
أخذت هيلارى تحلق فيه وهى مشدوهة ...
وأخيراً قالت :

- ولكنهم سيعرفون بسهولة' انتى لست مسز " بيترتون " انهم ليسوا
أغبياء بالطبع .

- كلا ... ولكن من المؤكد ان الذين سوف يكونون فى استقبالك لم يروا
مسز " بيترتون " من قبل لسبب بسيط وهو أن هذه المنظمات تعمل بطريقة
الخلايا المنفصلة فكل خلية مكونة من مجموعة أشخاص لايعرفون الخلايا
الأخرى حتى إذا ما سقطت إحدى الخلايا فى يد الشرطة لم تسقط بقية
الخلايا ...

وهذا يعنى ان الذين ينتظرون مسز " بيترتون " لايعرفون عنها سوى شئ
واحد وهوانها ذات شعر أحمر قاتم وعينين زرقاوين ، وأن طولها خمسة
أقدام وسبع بوصات ولا توجد بها أى علامات ظاهرة ومن حسن الحظ ان
كل هذه المواصفات تتوافر فيك ...

قالت " هيلارى " :

- ولكن ولكننى لا أعرف أى شئ عن مسز " بيترتون " ... ان الامر
ليس بهذه السهولة يا مستر " جيسوب " :

- اننا لا نعمل بطريقة عشوائية يامسز " كرافن " ... سوف نزودك بأدق
التفاصيل عنها ثم نعمل على إدخالك المستشفى الذى ترقد فيه مسز
"بيترتون " بطريقة خفية حتى إذا قضت نحبها انتحلت اسمها وشخصيتها
بينما يقال ان التى ماتت هى أنت .. وسنقول انك أصبت بارتجاج فى المخ
من جراء الحادث حتى إذا أخطأت فى معلومة ما فسيكون أمامك فرصة
لإدعاء فقدان الذاكرة من جراء الصدمة ...

ورغم ذلك فهناك احتمال لأن ينكشف كل شئ وتلقين حتفك ، ولكنك
إمرأة لا تخشى الموت بل تسعى من أجله ... فهل تقبلين القيام بهذه المهمة
الخطرة ؟

وبلا أننى تردد قالت " هيلارى " :

- نعم ... اننى موافقة على انتحال شخصية مسز " بيترتون " ...

قال الرجل بلهجة عملية :

- هيا بنا ... إن الوقت ثمين للغاية

جلست " هيلارى كرافن " بجوار " ليف بيترتون " التى رقدت فى فراشها
بالمستشفى وهى غائبة عن الوعى تماماً .. كانت رأسها معصوبة
بالضمادات وجسدها مليئاً بالجروح والكسور

وقف الطبيب وإحدى الممرضات بجوارها بينما جلس " جيسوب " فى
أقصى ركن من الغرفة وبعد قليل نهض من مقعدة وهمس بالفرنسية فى أنن
الطبيب :

- ترى هل يمكن أن تموت قبل أن تسترد وعيها ؟

- أعتقد ذلك ، فالنبض ضعيف للغاية ولكن قد تسترد وعيها فى لحظاتها

الأخيرة ...

- ألا يمكن أن نعطيها أى منبه ؟

- كلا

ثم غادر الغرفة هو والممرضة فقال " جيسوب " لـ " هيلارى " :

- أتمنى أن تسترد وعيها ولو لدقيقة واحدة حتى تمدنا بأى معلومات ..
أى كلمة لها قيمتها فى هذه المهمة .. أو حتى إشارة .. أرجو أن تنصتى
إليها جيداً فقد تنطق بكلمة السر وإذا وجدت فرصة فعليك استدراجها فى
الكلام بقدر المستطاع ...

- وهل أصرحها بأنها تحتضر ؟

- سوف أدع ذلك لتقديرك

بدأت " هيلارى " تشعر بتغير كبير فى أحوالها النفسية .. انها تكاد
تنسى مأساتها بعد أن وضعت قدمها على بداية طريق المغامرة الحافلة
بالمخاطر.

جلست بجوار فراش مسز " بيترتون " وهى مرهفة الحواس وراحت
تتسائل :

- هل جاءت هذه المرأة .. إلى المغرب لمقابلة زوجها بعيداً عن الأعين أم
أنها تعاني من انهيار الأعصاب حقاً ؟ ! وأنها تبحث عن الراحة كما بحثت
هى من قبل ؟

بحر حوالى ساعتين من الانتظار عاد الطبيب ليفحص المريضة ..

وبعد أن جس نبضها قال :

- لقد ازدادت الحالة سوءاً والنهاية تقترب ..

تململت مسز " بيترتون " فى فراشها ثم فتحت عينيها ورأت " هيلارى "
أمامها مباشرة ، ثم أغلقت عينيها مرة أخرى وقالت بصوت لا يكاد يسمع :
- أين أنا ؟

تناول الطبيب يدها وقال برقة :

- فى المستشفى .. لقد وقع حادث للطائرة ...
همست قائلة :

- الطائرة ؟!

قال لها الطبيب :

- هل تريدان الاتصال بأى شخص هنا فى كازابلانكا ؟
- كلا

نظرت إلى " هيلارى " مرة أخرى وقالت لها :
- من أنت ؟

اقتربت منها " هيلارى " وقالت بصوت واضح :

- لقد جئت من انجلترا مباشرة على متن إحدى الطائرات ، وأنا هنا من
أجل مساعدتك فىمكنك أن تطلبى ما شئت ...
- لا يوجد ما يمكن عمله .. إلا اذا كان ...

وتطلعت حولها فنظر الطبيب إلى الممرضة نظرة خاصة ثم غادر الغرفة
وتبعته المرأة

أخذت مسز " بيترتون " تجاهد حتى تنطق وأخيراً قالت :

- أرجوك .. هل .. انتهى الأمر .

كانت " هيلارى " تتوقع هذا السؤال فقالت :

- نعم ... ان هذه هى اللحظات الأخيرة .. فهل لديك رسالة تودين
إبلاغها إلى زوجك ؟

إنتى سوف أحاول الاتصال به ...

قالت بصوت واهن :

- أرجوك اخبريه .. لابد أن يحذر " بوريس " .. انه شخص شديد
الخطورة ...

أخذت تلهث وتسارعت أنفاسها فمالت " هيلارى " فوقها وسألتها :

- أرجوك .. أريد أن أعرف أى شئ يسهل لى الوصول إلى زوجك ...

- الثلج ...

قالت " هيلارى " بدهشة :

- الثلج ؟

ابتسمت مسز " بيترتون " ابتسامة شاحبة وهمست بصوت لا يكاد يسمع
تردد إحدى اغنيات الأطفال الشائعة :

(الثلج ... الثلج ... الجميل)

(تقف على قطعة منه فتتزلق)

ثم تذهب تذهب بعيداً) أرجوك اذهبى إليه وحذريه من " بوريس " .. اننى لا أصدق .. لا أصدق .. ورغم ذلك فقد يكون صحيحاً فعليه أن يكون حذراً ... ثم اختلجت عيناها وأسلمت الروح ...

بعد رحيل مسز " بيترتون " لزمت " هيلارى كرافن " غرفة بالمستشفى ولم تغادرها لمدة خمسة أيام كاملة .. كانت أياما شاقة للغاية

تلقت عشرات الدروس عن هذه المهمات الخاصة ، وبعد ذلك تم تلقينها كل المعلومات التى جمعت عن حياة " اوليف بيترتون " ، وفى المساء كان يتم امتحانها فى كل هذه المعلومات وكانت معلومات تتعلق بكل شئ عنها .. منزلها الذى تسكن فيه .. أسماء كل الخدم والأهل والأقارب والأصدقاء حتى اسم كلبها المدلل وطيور الكناريا .. وكل تفاصيل حياتها منذ تزوجت " توماس بيترتون " منذ حوالى ستة شهور وتفاصيل حفل الزواج ، وكذلك الطعام المفضل وأنواع الشراب التى تحبها .. حتى شعرت بالضيق الشديد فقالت لـ " جيسوب " : وما أهمية كل هذا ؟

- لا بد أن تستعدى لكل مفاجأة ، فأقل المعلومات تفيد فى إنقاذ حياتك أحياناً .. ان عملنا حافل بالخطورة ، فإذا سألك أحد سؤالاً مفاجئاً عليك ألا تترددى فى الإجابة وان يكون جوابك حاضراً .. عقب ذلك راح " جيسوب " يلقنها الدروس الأساسية من الكتابة بالشفرة ووسائل الاتصال السرية وغيرها من ضرورات عمل المخابرات ... وفى النهاية شعرت بأنها تتقدم بصورة رائعة فقال لها :

- اننى لم أتوقع أبداً أن تنجحى فى استيعاب هذا الكم الهائل من المعلومات خلال فترة قصيرة ... وذلك يدعوتى للاعتماد عليك ، ولكن لا داعى للقلق لأننا سوف نكون قريبين منك فى كل لحظة ..

- ماذا أفعل عندما أصل فى النهاية إلى " توماس بيترتون " ؟

- هذه أخطر مرحلة فى مهمتك . ولكننا سوف نكون بجانبك فى هذه اللحظة حتى نحميك ، ولا تنسى ان أساس عملنا هو المخاطرة ، وان كلا منا يتوقع القتل فى كل لحظة بعد أن تغادرى المستشفى سوف تتزلين فى الفندق الذى حجزت مسر "بيترتون" إحدى غرفه، وسوف ترتدين ملابسها وتصففين شعرك بنفس طريقتها .. فمئذ هذه اللحظة أنت مسر " بيترتون " وسوف يقوم أحد أطباء التجميل بمعالجة وجهك بشرائح من البلاستيك حتى يجعلك تشبهينها .. وإذا ما لاحظ أحد آثار الشرائح على وجهك فسوف يظن أنها من آثار حادث الطائرة ... قالت " هيلارى " بانفعال:

- إنك دقيق فى عملك للغاية يا مستر " جيسوب " لا تغفل أى شئ ..

- عندما تزاولين العمل ستدركين ان أقل هفوة يمكن أن تكلفك حياتك وتحبط جميع خططك أريد الآن أن أعرف كل ما قالته " أوليف بيترتون " قبل أن تموت ..

أخذت " هيلارى " تردد له كل ما قالته المرأة أثناء احتضارها ثم قالت :

- ان أهم ما قالته هو ان " بوريس " شخص شديد الخطورة

قال جيسوب :

- يبدو أنها تقصد " بورييس جلايدر " .. إنه الميجور الذى زارنى بمكتبى
وزعم أنه ابن عمه الزوجة الأولى لـ " توماس بيترتون " ، ولم أتمكن من
التحقق من شخصيته ، وأمرت بمراقبته وعلمت أنه ذهب إلى السفارة
الأمريكية ولكنه لم يغادرها و أدركنا انه تسلل من أحد الأبواب الجانبية

قالت " هيلارى " :

- أرجو أن تصف لى هذا الرجل بدقة ...

فوصفة لها ثم قال :

- معها حق فيبدو أن هذا الرجل شديد الخطورة حقاً !!

الفصل الثالث

فى فندق " سان لوس " بكازابلانكا جلست ثلاث سيدات ...
الأولى هى الأمريكية " كالفين بيكر " التى جلست إلى مكتب صغير
وراحت تكتب بعض الرسائل والثانية هى الانجليزية مس " هيدرنجتون "
التي جلست فى مقعد وثير تطرز جاك من الصوف وبدأت بارعة فى عملها .
أما الثالثة فهى المدموازيل الفرنسية جين ماريكو " فكان يبدو عليها
الملل وهى تتطلع من النافذة أحياناً وتتغزى إلى المراتين بضيق ..
كانت مس " هيدرنجتون " قد تعرفت بمسز " كالفين بيكر " الأمريكية
التي تتحدث بحرية وتآلف الناس بسرعة ...
ظهر رجل أعمال فرنسى فى مدخل قاعة الاستقبال ولكنه تراجع بسرعة
عندما لاحظ أنها شبه خالية وألقى نظرة على " جين ماريكو " ..
راحت مس " هيدرنجتون " تعد الغرز التى قامت بتطريزها وهمست قائلة
لنفسها :

- ماهو نوع الغرزة التالية ؟!

فى هذه اللحظة أطلت على القاعة امرأة طويلة القامة حمراء الشعر ...
ترددت قليلاً ثم اتجهت إلى قاعة الطعام
لمحتها مسز " بيكر" و مس "هيدرنجتون" ، فتركت الأولى التطريز وقالت
بانفعال :

- هل رأيت هذه المرأة ذات الشعر الأحمر ؟
سمعت أنها هى الوحيدة التى نجت من حادث تحطم الطائرة الاسبوع
الماضى ...

قالت مس " هيدرنجتون " :
- لقد جاءت إلى الفندق بعد ظهر اليوم فى سيارة إسعاف .. لقد
شاهدتها بنفسى

- نعم .. لقد جاءت من المستشفى مباشرة ...
- ألم تتسرع فى الخروج من المستشفى ؟ لقد كانت مصابة بارتجاج
فى المخ وحالتها خطيرة

- لقد نظرت إلى وجهها فوجدت به آثار الجراحة والشرائط اللاصقة ،
ويبدو أن هذا من آثار قطع الزجاج ... من حسن حظها أنها نجت من
الحريق الذى شب فى حطام تلك الطائرة المنكوبة ...

قالت مسز " كالفين " :
- لقد واجهت موقفاً صعباً للغاية ... يالها من مسكينة ... هل كان
زوجها معها ؟ من المؤكد أنه مات

- لا أعتقد أنه كان معها لأن الصحف أشارت إلى أن إمرأه واحدة هي التي نجت من الحادث ولم تشير إلى زوجها

- لقد طالعت الصحف وعلمت ان اسم المرأه هو مسز " بيفرلى " ... كلا ... مسز " بيترتون " نعم مسز " بيترتون "

قالت مسز " هيزرنجتون " :

نعم هذا هو اسمها فعلاً لقد طالعت في الصحف

أما " جين ماريكو " فقالت لنفسها بالفرنسية :

- اللعنة على " بيير " ... إنه إنسان لا يحتمل أبداً ... أما " جولز " الصغير فإنه لطيف وأبوه يتمتع بمركز مرموق ... لقد قررت أن أعمل ...

ثم غادرت القاعة بخطوات رشيقة

في اليوم الخامس لكارثة الطائرة وبعد وفاة مسز " بيترتون " الحقيقية غادرت مسز " بيترتون " المزيقة المستشفى في سيارة إسعاف متجهة إلى فندق " سان لويس "

كان وجهها شاحباً عليه الضمادات والأشرطة اللاصقة

بمجرد وصولها إلى الفندق سألت عن أى رسائل وصلت باسمها ولكنها لم تجد شيئاً ...

كانت تتصرف بحذر شديد ، وحرصت على أن تفعل كل شئ كما أوصاها مستر " جيسوب " تماماً حتى لا ترتكب أى هفوة تؤدي إلى فشل

العملية لم تكن تهتم بسلامتها ولكنها شعرت بالانفعال و الإثارة وهي تؤدي هذا العمل المليء بالغموض والإثارة

شعرت بالقلق ... فمن المحتمل أن يكون لدى " أوليف " تعليمات بالاتصال برقم تليفون معين بمجرد وصولها ، أو تعليمات بالذهاب إلى شخص ما في كازابلانكا فكيف تعرف كل ذلك ؟

انها لا تملك الآن إلا جواز سفر " أوليف " ودفتر التحويلات وتذاكر السفر واطارات الحجز في الفنادق بمدن كازابلانكا وفزان ومراكش ...

ومن الطبيعي ان هذه الأيام انقضت بسبب حادث الطائرة وكانت واثقة ان هناك من سيتصل بها لترتيب هذه الأمور مرة أخرى ، فلا شك انهم يعلمون بما حدث لها ويأتها نجت من الموت بأعجوبة ...

وقد قام " جيسوب " بنزع صورة " أوليف " من جواز السفر ووضع صورة " هيلارى "

قررت " هيلارى " أن تخوض تلك المخاطرة بثبات وإذا ما وقعت في خطأ ما ستقول انها فقدت الذاكرة بفعل الحادث ، وسوف يقتنع الجميع فهم يعلمون بأنها مصابة بارتجاج في المخ ...

ظلت " هيلارى " في غرفتها حسب التعليمات ، فليس من المعقول أن تغادر غرفتها وهي مازالت تحت العلاج ... والمفروض انها في حاجة إلى الراحة التامة

استغلت هذه الفترة في مراجعة كل تفاصيل حياة " أوليف بيترتون "

حتى لا تردد أمام أى سؤال مفاجئ ...

وفى المساء غادرت غرفتها إلى قاعة الطعام لتناول العشاء ...

بمجرد دخولها إلى القاعة تطلعت إليها كل الأنظار وتبادل بعضهم الهمسات التى سمعت بعضها وعندما جلست إلى إحدى الموائد اقتربت منها سيدة بدينة وقالت لها بالانجليزية بلكنة أمريكية :

- معذرة يا عزيزتى .. ألسنت أنت التى نجوت من حادث تحطم الطائرة بمعجزة ؟

قالت " هيلارى " :

- نعم

- إننى أهنئك يا عزيزتى .. لقد كانت كارثة مروعة وتجربة أليمة بالطبع ... سمعنا ان عدد الذى نجوا من الحادث ثلاثة

- كلا ... اثنان فقط أما الثالث فقد توفى فى المستشفى ...

- لم أعرف بذلك يا مسز

- مسز " بيترتون " ...

واصلت الأمريكية الثريثة ، فقالت :

- أين كنت تجلسين وقت سقوط الطائرة ... فى المقدمة أم بالقرب من الذيل ؟

من حسن الحظ أن " جيسوب " كان قد لقنها إجابة هذا السؤال فقالت

على الفور :

- فى المؤخرة ...

- هذا من حسن حظك ... يقولون أن هذا أكثر المناطق أمناً فى الطائرات حتى إذا سقطت الطائرة كانت هناك فرصة فى النجاة ...

ثم نظرت إلى امرأة أخرى تجلس بالقرب منها وقالت :

- كما قلت لك بالأمس يا مسز " هذرنجتون " ... يجب أن تحرصى على الجلوس فى المؤخرة مهما كانت الأغراءات أمامك

قالت " هيلارى " :

- ولكن هل يجلس الجميع فى المؤخرة ؟ فمن الذى سيجلس فى المقدمة إذن ؟

- لا يهمنى من الذى يجلس المهم إنتى سأبتعد عنها ...

- إنتى أدعى مسز " بيكر " ... " كالفن بيكر " ... أمريكية الجنسية .. وقد تعرفت بمسز " هذرنجتون " هنا هل ستسافرين إلى مراكش يامسز " بيترتون " ؟

قالت " هيلارى " :

- كنت أنوى أن أفعل ذلك ولكن الحادث أفسد كل شئ ...

- ولكن يجب أن تقومى بزيارة مراكش إنها رائعة ... أليس هذا صحيحاً يا مسز " هذرنجتون " ؟

- نعم ولكنها باهظة التكاليف ولا يستطيع المرء أن يحول نقوده هناك بسهولة .

قالت مسز " بيكر " :

- هناك أماكن تتميز باعتدال الأسعار على سبيل المثال فندق المأمون ..
إنه فندق رائع وأنصحك بالنزول فيه يا مس " بيترتون " ...

قالت مس " هيدرنجتون " محتجة :

- كلا يا مسز " بيكر " أن أسعاره مرتفعة للغاية ولا يمكن أن أنزل فيه ،
ولكنكم أيها الأمريكيون تتمتعون بمعاملة خاصة وبتسهيلات في تحويل
أموالكم ...

قالت مسز " بيكر " تخاطب " هيلارى " :

- هل ستقومين بزيارة مدن أخرى هنا بالمغرب ؟

- نعم ... سوف أزور فزان ولكن يجب أن أحجز غرفة في الفندق .

- بالطبع ... يجب ألا تفوتك زيارة فزان والرباط ...

- هل زرتكما ؟

- كلا ... ولكننى سمعت أن بهما الكثير مما يستحق الزيارة ، وسوف
نذهب إليها أنا ومسز " هيدرنجتون " ...

تواصل الحديث بينهما قليلاً ثم اعتذرت " هيلارى " وأستأننت فى
الصعود إلى حجرتها لشعورها بالارهاق ...

ويعد أن استلقت في فراشها راحت تفكر في كل ما قالته مسز " بيكر " وتساطت :

- ترى هل كانت مجرد ثرثرة عادية أم أنه استجواب أم توجيهات خفية؟
وقررت أن تذهب إلى شركة السياحة في اليوم التالي لتجديد الحجز في
قرآن والرباط وذلك إذا لم يتصل بها شخص ما ليلقى إليها بتعليمات
جديدة....

لم تتلق أى تعليمات جديدة في صباح اليوم التالي وحتى الحادية عشرة
فغادرت الفندق إلى شركة السياحة ووقف في طابور أمام الشباك ...
عندما حان دورها سألت الكاتب عما ينبغى عليها أن تفعله فقال لها
رئيس المكتب :

- إننا نهنتك أولاً على النجاة يا مسز "بيترثون " ، وقد نفدنا تعليماتك
التليفونية بخصوص تعديل الحجز ...

تعليمات تليفونية !!!

شعرت باضطراب شديد ولكنها تماكنت نفسها وتناولت التذاكر ... لاشك
أن هناك مجهولين قاموا بهذه الترتيبات لأنها لم تتصل بالمكتب وقالت
بلياقة :

- لقد جئت خشية ألا يكون أحد قد اتصل بكم

بدأت " هيلارى " رحلتها إلى فزان فى صباح اليوم التالى ...
كانت تتطعم لزيارة مدينة تحمل الطابع الشرقى الساحر لأن مدينة
كازابلانكا كانت أشبه بالمدن الفرنسية ...

وجدت معها فى مقصورة القطار أربعة أشخاص رجلا فرنسيا يبدو أنه
مندوب مبيعات وراهبة جلست فى أحد الأركان وامرأتين مغربيّتين تجلسان
سويا بينما جلس الرجل الفرنسى أمامها مباشرة وبعد قليل بدأ بينهما
الحديث حيث قال لها :

- أنصحك بزيارة الرباط يا سيدتى ... انها مدينة رائعة ...

قالت :

- أتمنى أن أجد متسعاً من الوقت لزيارتها ، كما أن نقودى على وشك
النفاذ لأننا لا نحمل معنا إلا قدرا محدوداً منها حسب التعليمات ...

فقال :

- إن هذا أمر سهل للغاية ويمكن تدبير ذلك مع أحد لأصدقاء هنا ...

- للأسف ليس لى أى أصدقاء فى المغرب ...

قال :

- فى المرة القادمة يمكنك إرسال خطاب إلى على هذا العنوان حتى أدير
لك الأمر ...

ثم أعطاهما بطاقة تحمل اسمه وعنوانه

- أشكرك كثيراً على هذا الكرم ... إننى بالفعل أفكر فى زيارة المغرب مرة ثانية ...

- إن الجو هنا ساحر والشمس مشرقة طوال النهار بعكس الحال فى انجلترا حيث البرد والضباب والمطر الغزير ... عندما غادرت باريس منذ حوالى ثلاثة أسابيع كان الجو شديد البرودة والأمطار تتساقط بغزارة .. كيف كان حال الجو عندما غادرت انجلترا ؟
- كان الضباب كثيفاً ...

- بالطبع .. فهذا هو موسم الضباب ... وماذا عن الثلج ؟ ! هل يسقط الثلج فى انجلترا ؟

ما كادت " هيلارى " تسمع الكلمة الأخيرة (الثلج) حتى تنبهرت كل حواسها وتسألت : ترى هل الرجل يتحدث بطريقة عفوية عادية أم انه يقصد شيئاً ما بكلمة الثلج ؟

لقد ذكرت الكلمة مرتين ، وهى نفس الكلمة التى ذكرتها " اوليفبيرتون " وهى تحتضر ... فهل هى كلمه السر أم أنها ترمز لشيء ما ؟

أخذت تنتظر من النافذة وتتشاغل برؤية المناظر الطبيعية التى تتابعت بسرعة أمامها خلال سير القطار بسرعة متجها نحو الشمال ...

عند حلول المساء وصل القطار إلى فزان فحمل الرجل الفرنسى حقيبتها وقال لها :

- هل تريدان الذهاب إلى فندق (قصر الجمال) ؟

- نعم

- إنه يقع على بعد حوالى ثمانية كيلومترات من المدينة ...
قالت بدهشة :

- يبدو انه يوجد فى الضواحي ؟

- كلا .. إنه فى الحى القديم ، وهو فندق هادئ للغاية يساعد على
الاسترخاء بعيداً عن ضوضاء المدينة ولقد كان قصراً لأحدى العائلات
المغربية قبل أن يتحول إلى فندق ، وتوجد به حدائق متسعة رائعة ويجاوره
الحى القديم بطابعه الشرقى الساحر ... أما أنا فسوف أنزل فى فندق
بالحي التجارى ...

راحت " هيلارى " تتطلع حولها بقلق فقال الرجل :

- يبدو أن الفندق لم يوفد أحدا لاستقبالك .. سوف أستوقف سيارة
أجرة ...

- أشكرك كثيراً يا سيدى ...

وبعد أن ركبت السيارة قال لها :

- إذا احتجت لى شئ فإن بطاقتى معك ويمكنك الاتصال بى على الفور
... سوف أقيم بفندق (جراند أوتيل) لمدة أربعة أيام ..

ثم حياها

طالعت " هيلارى " البطاقة فوجدت اسمه " هنرى لورييه "

بعد قليل راحت السيارة تبتعد عن المدينة وتتجه إلى الضواحي والطرق
الريفية حاولت " هيلارى " أن تتبين معالم الطريق ولكن الظلام كان
كثيفاً للغاية فحال بينها وبين رؤية أى شئ عدا بعض المباني التي كان
ينبعث منها الضوء ...

راحت تتسائل :

- ترى إلى أين ستذهب فى النهاية ؟ وهل مسيو " هنرى لورييه " هو
أحد عملاء تلك المنظمة السرية ؟ هل له علاقة بـ " توماس بيترتون " ؟ وهل
هو الذى أغراه بالهجرة بعيداً عن وطنه وزوجته ؟ وإلى أين تتجه بها هذه
السيارة ؟

بدأت تشعر بالقلق بينما كانت سيارة الأجرة تتوغل فى الطرق المظلمة..
وأخيراً توقفت السيارة أمام فندق (قصر الجمال) فظنت أنها كانت
متخوفة أكثر مما ينبغى ونزلت من السيارة واتجهت إلى الفندق ...

كان يتميز بطابع شرقى رائع للغاية ... كل ما فيه يحمل سحر الشرق
وجماله ... الثريات ... المقاعد .. الوسائد ... الفراش .. الأبسطة .. حتى
أواني الطعام والشراب والقهوة والشاي ...

شعرت " هيلين " بالنشاط والسرور لأول مرة منذ شهور طويلة فاغتسلت
وأبدلت ثيابها ثم هبطت إلى قاعة الطعام لتناول عشاءها فوجدت الطعام
رائع المذاق ...

ويحذر شديد دارت ببصرها فى أنحاء القاعة حتى ترى وجوه الحاضرين

وجدت كهلاً ذا لحية مدبية يتسابق الجميع في خدمته وتلبية كل طلباته
وتسألت : ترى من هذا الرجل ؟!

كان هناك رجل ألماني يجلس في وسط القاعة وبالقرب منه فتاة رائعة
الجمال يبدو أنها سويدية أو هولندية تجالس رجلاً كهلاً ، وكانت هناك أيضاً
عائلة معها طفلان بالاضافة إلى بعض العائلات الفرنسية والأمريكية ...

تناولت القهوة في الشرفة بعد العشاء وكان الجو شديد البرودة فصعدت
إلى غرفتها وأوت إلى فراشها ...

في صباح اليوم التالي جلست في الشرفة حيث كانت الشمس تغمرها
بضوئها وتبعث فيها الدفء ...

وبعد قليل جاءت السويدية الشقراء فجلست بالقرب منها ثم انضم إليها
الكهل ، وتسألت " هيلارى " عما إذا كان أباهما أم زوجها كانت الفتاة
تحدثه بعصبية وبأسلوب جاف للغاية بينما أخذ يعتذر لها بصوت خافت ..

ثم جاء الرجل ذو اللحية المدبية وجلس في أقصى الشرفة وعلى الفور
هرع إليه الجرسون ليتلقى أوامره

لاحظت " هيلارى " أن السويدية أشارت نحو الرجل ذي اللحية ثم قالت
بعض الكلمات لرفيقها الكهل وعندما أقبل الجرسون ليبنى طلبات " هيلارى "
سألته عن شخصية الكهل الملتحي فقال :

– إنه المليونير الشهير مسيو " اريستيد " ...

أدركت سر اهتمامهم بهذا العجوز الدميم .. إنه المال ...

وفي نفس اللحظة رفع الرجل وجهه وتطرق إليها فالتفت أعينهما لحظات ثم
أشاح بوجهه ...

عاد الجرسون وهو يحمل إليها ما طلبته ونشأ إلى الفتاة السويدية ورقبها الكهل وقال :

— هذا الرجل من أشهر رجال الصناعة في أوروبا أما رفيقته فهي نجمة سينمائية صاعدة مسرعة للصعود....

أنها تعامله بعجرفة وتتشاجر معه دائماً، وتريد أن تذهب إلى مدينة كبرى حتى يمكنها التسوق في أسواقها وإنفاق المزيد من الأموال ... حتى الأثرياء يلاقون منغصات في حياتهم تجرمهم نعمة الراحة...

اليتعد الجرسون وأقبل شاب فونسيي شديد الوسمامة نظر إلى "هيلارى"
تظرة ذات مغزى وكأني يقول لها :

— لماذا تبقيس هذا ويطالوا ولا تنهين إلى الحقيقة ؟

ثم اتجأ إلى الحقيقة وهو يتوهم بألفاظه يقول شكها :

كَلَامُ مَوْهَبِ الْوَرِيدِ وَأَنْصَحُ الْعِزَّالَ . كَذَلِكَ الْأَوَّلَامُ الْجَمِيلَةُ) ...

وبسبب عنة تكفرت ذلك الرجل لفرانسيس الذي تحدث معها في القطار .. كان
معتما لفرانسيس ...

فأهل هناك اثنان قتيلا، اسمه وزين وهو قائد العيريه التي يذكرها هذا
الفرع عني؟

أم أم؟ إنها مجرد مصداق لـ «أم» ثم اتوا هل في عينا الاسم ؟

فتحت حقيبتها وأخرجت البطاقة وطالعت الاسم فوجدته (هنرى لورييه)
وعنوانه ٢ شارع كرواسانت - كازابلانكا

استولت عليها الحيرة قليلاً وراحت تقلب البطاقة بين يديها بلا وعى ،
وبينما هى تفعل لاحظت وجود آثار كتابة على ظهر البطاقة ولكنها مطموسة.
رفعتها فى ضوء الشمس وحاولت أن تقرأها ولكنها لم تتمكن إلا من
قراءة كلمة "دانتان "

وتساءلت ترى هل هذه الكلمات ذات معنى خفى ؟

وبينما هى فى حيرتها تلك سقط ظل على وجهها فشعرت بالخوف ورفعت
رأسها ورأت مستر " اريستيد " يقف أمامها وقد سقطت أشعة الشمس فوقه
فوقع ظله على وجهها ، ولكنه لم يكن ينظر إليها حيث كان متجها صوب
التلال التى تقع خلف الحديقة

تنهد ثم اتجه إلى قاعة الطعام وبينما هو يقترب منها اصطدمت يده بقدر
الشراب فوق مائدتها فسقط على الأرض وأحدث نوباً مزعجاً ...

وعلى الفور قال لها :

- معذرة يا سيدتى .. أنتى شديد الأسف لما حدث

ابتسمت " هيلارى " فى وجهه وقالت :

- لا داعى للأسف ... ان الأمر بسيط للغاية ...

استدعى المليونير الجرسون وأمره بأن يحمل لها مشروباً آخر وكرر
اعتذاره ثم انصرف ...

بعد قليل عاد الشاب الفرنسي من الحديقة وهو مازال يترنم بالأغنية
وتعمد أن يتمهل فى مشيته وهو يمر بجوار " هيلارى " ولكنها لم تلق إليه
بالأفهم كنفية وانصرف

عاد الجرسون وهو يحمل معه المشروب فسأله " هيلارى " قائلة :

- هل ينزل مستر " ارستيد " هنا وحده أم معه حاشيته ؟

- لا يمكن أن يسافر المليونيرات وحدهم .. فمعه عدد كبير من
الأشخاص .. السائق وعدد من المساعدين والسكرتارية ...

بعد أن تناولت " هيلارى " طعام الغداء نزلت إلى الحديقة وغرقت فى
افكارها

قرب الغروب شعرت ببرودة الجو فعادت إلى قاعة الجلوس وهناك التقت
بـ " كالفين بيكر " التى قالت لها :

- لقد وصلت على التو من كازابلانكا بواسطة الطائرة لأننى لا أحب
القطارات ...

وقبل أن تعقب " هيلارى " واصلت المرأة الثرثرة قائلة :

- هل زرت المدينة القديمة ؟

- كلا لقد استمتعت بالشمس المشرقة طيلة اليوم

- معك حق ... انك خرجت من المستشفى منذ أيام قليلة ولا بد أن تحصلى على قدر من الراحة ...

فى البداية لابد أن ترقدى فى غرفة معتمة خلال النهار وتدرجياً يمكنك الخروج للنزهة

يمكننا أن نخرج سوياً فى بعض الرحلات هنا ... إننى رغم كبر سننى أعشق الرحلات ...

- إننى أحترم النشطين من كبار السن ...

استطردت المرأة قائلة :

- مس " هيدرنجتون " سوف تصل اليوم بالقطار ... عندما حضرت إلى هنا وجدت أنهم حجزوا لى غرفة غير ملائمة وسوف أحاول الحصول على غرفة أفضل منها ...

وأخيراً تركت " هيلارى " وهى تسير بنشاط وحيوية لا تتفق مع سنها ...

وفى العشاء التقت " هيلارى " مع مسز " بيكر " ومس " هيدرنجتون " حيث جلسن سوياً ودارت بينهما شتى الأحاديث .

الفصل الرابع

ذهبت " هيلارى " إلى مكتب الاستعلامات بفندق قصر الجمال وذكرت لهم أنها تود زيارة الحى الشرقى فعهدوا إلى دليل بمرافقتها إلى هناك ...
سار الدليل معها عبر الحديقة الرائعة حتى إذا وصل إلى أطرافها أخرج من جيبه مفتاحاً كبيراً وفتح باباً يختفى خلف الأشجار ويدخل منه فتبعته " هيلارى "

تطلعت " هيلارى " حولها فى دهشة

كان الحى الشرقى يختلف كل الاختلاف عن الفندق الذى غادرته منذ لحظات .. فالشوارع ضيقة للغاية لا تتسع إلا لمرور شخص واحد والناس يرتدون العباءات الفضفاضة والمحلات مكدسة بالبضائع المختلفة من التحف الشرقية والمصنوعات الجلدية الرائعة والمطروقات النحاسية المتقنة الصنع

تمنت لو أن هذا الدليل لم يكن معها حيث راح يثرثر بلا انقطاع ويطلب

منها أن تنتظر إلى شئ معين ويسألها رأيها

إنها تريد أن تستمتع بهذا الجو البديع في هدوء ودون أن يفرض أحد عليها شيئاً ...

وأخيراً مضى بها الدليل إلى مقهى مغربي يشتهر بالشاي اللذيذ الطعم..
كان المقهى يقع على سفح أحد التلال وهو عبارة عن مقهى شرقي صميم
توجد على أرضه وسائد جلدية رائعة كما توجد أرائك مكسوة بقماش يحمل
الطابع الشرقي الأصيل

تناولت عدة أكواب من الشاي المخلوط بالنعناع

قال لها الدليل :

- سوف أصحبك بالسيارة حتى تشاهدي أحد المناظر الطبيعية الرائعة
لدينا ... ولكن عليك أن تذهبي أولاً للاغتسال مع هذه الفتاة ...

فقال الفتاة :

- لدينا هنا في فزان عدد كبير من أجمل الحمامات التي تضارع
حمامات لندن وباريس

تبعث " هيلارى " الفتاة فوجدت الحمام رائعاً للغاية نظيفاً

وبعد أن انتهت من تجميل نفسها أدارت مقبض الباب حتى تخرج ولكن
الباب لم يفتح ...

شعرت بالغضب فأدارت المقبض بقوة ولكنه كان مغلقاً بإحكام

ما معنى هذا ؟

هل يمكن أن يغلق أحد عليها الحمام من الخارج ولكن لماذا ؟
تمالكت أعصابها وراحت تنتظر حولها بهدوء فوجدت باباً آخر في الناحية
المقابلة فأسرعت إليه وأدارت المقبض فوجدته ينفتح بسهولة
فخرجت من الحمام ووجدت نفسها في غرفة تحمل الطابع الشرقي
ولكنها كانت معتمة الضوء ...

وقفت قليلاً وسط الغرفة حتى تألف عيناها الرؤية ...
وبعد قليل راحت تدرر بعينيها في الغرفة ولدهشتها الشديدة وجدت رجلاً
جالساً فوق أريكة وهو يدخن سيجارته ...
ما كادت تنتظر إلى وجهه حتى شعرت بالدهشة البالغة ...
كان هو نفسه الفرنسي " هنري لورييه " !!

قال " لورييه " بهدوء :

- مرحباً بك يا مسز " بيترتون "

عقدت الدهشة لسانها فلم تتمكن من النطق بكلمة واحدة ولكنها أدركت
دقة موقفها وعادت إليها الروح الفدائية التي جعلتها تقبل المهمة الخطيرة ..

نجحت فى استعادة السيطرة على أعصابها وراحت تفكر بسرعة ..
لقد بدأت المهمة الآن ... هل هذه هي المغامرة المثيرة التى وافقت على القيام بها ؟

- حسناً ... فلا بد أن تؤدى دورها بإتقان وكأنها مسز " بيترثون " الحقيقية .. إن سلامتها تتوقف على إتقان هذا الدور ...
قالت بهدوء :

- هل توجد لديك أية أنباء ؟
قال بلهجة تنطوى على العتاب :
- نعم ... ولكنك كنت شديدة التحفظ معى فى القطار رغم أننى تحدثت معك كثيراً عن حالة الجو ... ألم تلاحظى ذلك ؟
ياإلهى ... إنه يتحدث عن الجو ... إذن فقد كان معها حق حينما شككت فى أمره .. تحدث عن الضباب والثلج ... نعم ... الثلج ...
أخر كلمة ذكرتها " أوليف بيترثون " وهى تحتضر ... وتذكرت الأغنية التى رددتها على مسامعها ... وعلى الفور كررت نفس الأغنية أمامه فقال :
- حسناً .. هذه هى كلمة السر المتفق عليها ، ولكن لماذا لم تذكرها حينما تحدثت معك عن الأحوال الجوية والثلج ؟
قالت " هيلارى " :

- يبدو أنك نسيت الحادث الرهيب الذى وقع لى منذ أيام .. إننى مصابة بارتجاج فى المخ وكثيراً ما تصيبنى حالات من فقدان الذاكرة المؤقت

إن هذه الحالة لا تستغرق كثيراً لحسن الحظ ...

قال بلهجة تحمل معنى الاشفاق :

- إننى أعلم ذلك بالطبع وأقدر ظروفك ... لقد نجوت بمعجزة ، ولكن هل باستطاعتك مواصلة الرحلة وأنت بهذه الحالة ؟

قالت بحماس :

- بالتأكيد سوف أواصل الرحلة لا تنس أن زوجى ...
فقطاعها قائلاً :

- إنه ينتظرك بلهفة

ثم ابتسم ابتسامة شيطانية وسألها :

- هل اقتنعت السلطات فى انجلترا باجاباتك ؟

- وكيف أعلم ؟ من الواضح أن الأمور كانت تسير على ما يرام

أعتقد أنهم وضعونى تحت المراقبة ، فرغم أننى لم ألاحظ من يتعقبنى
إلا أن إحساسى الداخلى كان يدلنى على ذلك ...

فقال لها ببرود :

- من الطبيعى أن يعمدوا إلى مراقبتك وقد كنا نعرف ذلك ونحسب
حسابه فمنذ أن اختفى زوجك وضعوك تحت المراقبة ولكننا تمكنا من
إبلاغك بما نريد ...

- نعم

- حسناً ... إليك تعليماتنا الجديدة .. سوف تسافرين بعد غد إلى
مراكش حسب الجدول السابق وهناك سوف تصلك رسالة من انجلترا
تتضمن التعليمات اللازمة للعودة

- هتفت قائلة :

- ماذا ؟ العودة ؟

قال بضيق :

- أرجو أن تنصتى إلى نون مقاطعة .. عليك الآن أن تقومى بحجز مكان
على الطائرة التى ستذهب إلى كازابلانكا بعد غد

- وإذا لم أجد بها مكاناً ؟

- كلا ... سوف تجدین مكاناً شاغراً ... إننا لم نغفل ذلك .. هل عرفت
التعليمات جيداً ؟

- نعم

- حسناً عليك أن تعودى إلى الدليل حالاً حتى لا يشعر بالقلق ..

مسز "بيترثون" ... هل تعرفت بإمرأة أمريكية تدعى مسز "بيكر" وأخرى
انجليزية تدعى مسز "هيدرنجتون" ؟

قالت بقلق :

- نعم ... ترى هل أخطأت بذلك ؟ لقد فرضت هذه المرأة الأمريكية
نفسها على ولم تكف بذلك بل عرفتني بزميلتها ... لم يكن هذا ذنبى .. إننى
أسفة

- لاداعى للأسف .. إننى سعيد بذلك فهذا يخدم خطتنا
أرجو أن تحاولى إقناع إحداهما باصطحابك فى رحلتك إلى مراكش ...
- سوف أحاول وإن كنت غير واثقة من النجاح ...
- إلى اللقاء ...
عادت إلى الحمام ثم اتجهت إلى الباب الأول الذى كان مغلقاً بإحكام منذ
قليل ولدهشتها البالغة وجدت المقبض يتحرك بسهولة ...

قالت " هيلارى " لمسز " هيدرنجتون " :
- سوف أسافر غداً إلى مراكش
- ولكنك لم تقيى هنا إلا فترة قليلة للغاية لا تكفى للاستمتاع بهذه
المدينة الجميلة ...
- كلا ... لقد استمتعت بها كثيراً ... وأتمنى أن تصاحبنى أى منكما
حتى لا أسافر وحدى وأشعر بالملل .. إن أجمل شئ فى هذه الرحلة أننى
تعرفت بكما
قالت مسز " هيدرنجتون " :
- ليس بإمكانى زيارة مراكش مرة أخرى لأننى زرتها منذ فترة وجيزة .

قالت مسز " بيكر " :

- إنتى مثلك زرت مراکش منذ حوالى شهر ورغم ذلك أشعر بالشوق
لزيارتها مرة أخرى .. إن الزيارة الثانية تكون أفضل من الزيارة الأولى
دائماً .. سوف أذهب لحجز تذكرة على الطائرة المتجهة إلى مراکش ...

جلست " هيلارى كرافن " وحدها فى ركن بعيد بالشرفة وهى تراجع كل
ما مر بها من أحداث فى ذلك اليوم الحافل لقد بدأت المغامرة الحقيقية بما
يحيط بها من مخاطر شديدة ...

وبينما هى غارقة فى أفكارها سمعت صوتاً هادئاً يقول لها :

- هل تسمحين لى بالجلوس إليك قليلاً يا سيدتى ؟

رفعت رأسها بسرعة فوجدت أمامها المليونير اليونانى مسيو "أريستيد"
بلحيته المدببة ووجهه الوقور ..

وقبل أن تنطق بكلمة كان قد سحب مقعداً وجلس فيه وأشعل سيجارة ثم
قال :

- هل أعجبتك هذه المدينة ؟

قالت بحذر :

- إنتى لم أمكث فيها إلا وقتا قليلا لا يكفى للحكم عليها ...

قال المليونير :

- هل زرت الحى الشرقى ؟

- نعم .. إنه أروع ما رأيت هنا بالمغرب ...

- معك حق .. إنه يحمل أجمل المعانى .. يجعلك تتذكرين الماضى

بهمساته الخافته ودسائسه وغموضه وسحره .. وعواطفه الفؤارة ...

إننى عندما أسير فى شوارع فزان الضيقة أتذكر على الفور شوارع
لندن المتسعة حيث الصراحة والوضوح ، أما هنا فأشعر بالغموض والإثارة
الخفية ...

حدقت فيه " هيلارى " ولم تنطق ...

استطرد المليونير قائلاً :

- سوف تتعجبين عندما أقول لك إننى أحسبك على هذه التجربة القاسية

التي مررت بها ...

أعنى حادث سقوط الطائرة ونجاتك بمعجزة .. كنت أتمنى أن أكون
مكانك فليس هناك أروع من رؤية الموت ثم الارتداد إلى الحياة مرة أخرى
لأن هذا يجعل الروح تسمو وترتفع إلى أعلى الدرجات ...

ثم تركها فجأة بينما كانت تشيعه بنظرات التعجب والدهشة ...

جلست " هيلارى " بجوار مسز " بيكر " فى المطار الصغير فى انتظار الطائرة التى ستقلها إلى مراكش بعد قليل ...

راحت مسز " بيكر " تواصل الثرثرة بلا انقطاع فشعرت " هيلارى " بالحنق على " هنرى لورييه " الذى نصحبها باصطحاب أحد معها فى الرحلة .. أنها لا تنتهى أبداً من الثرثرة ولا تلاحظ أنها بدأت تشعر بالصداع والضيق

فى كل وقت كانت " هيلارى كرافن " تراجع تعليمات مستر " جيسوب " وتستعيد الدروس المكثفة التى ألقاها عليها خلال فترة وجودها بالمستشفى لقد نفعتها هذه الدروس كثيراً خلال مقابلتها مع " هنرى لورييه " فى المرتين ، ولكن هل تواصل النجاح حتى تصل إلى " توماس بيترتون " ؟ أم ترتكب غلطة فاحشة تودى بها ؟ ...

من حسن حظ " هيلارى " ان مسز " بيكر " اتجهت تثرثر فى ناحية أخرى حيث وجدت بالقرب منها شاباً أمريكياً مشرق الوجه وبصحبه آخر يبدو هولندياً أو نرويجياً تبدو على وجهه سيماء الوقار

قالت للشاب الأمريكى :

- أعرفك بصديقتى مسز " بيترتون " يا مستر

على الفور قال :

- " اندرو بيترز " ، وأصدقائى ينادونى باسم " أندى " إنه أجمل وقعاً ..
وقدم زميلة نفسه بوقار قائلاً :

- إتنى أدعى " توركيل ايريكسون " ..

فقلت مسز " بيكر " :

- وبعد أن تعارفنا .. هل أتم ذاهبون إلى مراكش ؟ إن صديقتى مسز

"بيترتون" تزور المدينة لأول مرة ...

قال الشاب النرويجى " توركيل ايريكسون "

- أنا أيضاً أقوم بزيارة المدينة لأول مرة

وقال " اندروبيترز " :

- وأنا أيضاً مثله ...

وسمعوا فى هذه اللحظة صوت المذيع الداخلى يعلن عن قيام الطائرة

المتجهة إلى مراكش

كانت الطائرة تضم هؤلاء الأربعة بالإضافة إلى رجل فرنسى وراهبة

تتميز بوجهها الجامد الصارم ...

استرخت " هيلارى " فى مقعدها تماماً وأسندت رأسها إلى ظهر المقعد

ولم تلبث أن استغرقت فى النوم العميق ...

استيقظت فجأة فوجدت الطائرة تهبط إلى الأرض وهى تهدئ من

سرعتها ...

ظنت أنها وصلت إلى المطار ولكنها عندما نظرت عبر النافذة لم تشاهد

ما يدل على ذلك أبداً ؟!

قال الرجل الفرنسي وهو يتثأب :
- يبدو أننا سنهبط هنا .. ترى لماذا ؟
قالت " هيلارى " :
- إن الطائرة تهبط فعلاً .. أليس هذا عجباً ؟
وأخيراً استقرت الطائرة على الأرض وتوقفت محركاتها تماماً وساد
السكون ...
ترى ماذا حدث ؟ هل أصيبت الطائرة بخلل ما ؟ أم نفذ منها الوقود ؟
أقبل الطيار وهو يقول :
- أرجو أن تتفضلوا جميعاً بالنزول
نزلوا من الطائرة فوجدوا أنفسهم فى بقعة منعزلة تماماً فى قلب
الصحراء المترامية الأطراف والتي تبدو بلا نهاية
قالت " هيلارى " بصوت ينطوى على القلق :
- ما هذا المكان ؟ لماذا هبطت الطائرة هنا ؟
قال الطيار :
- لا داعى للقلق فلن نتوقف إلا دقائق معدودات ثم اتجه ببصره ناحية
الجبال العالية المكسوة بالثلوج !!
قال :
- هاهى مقبلة ناحيتنا لقد تأخرت قليلاً عن موعدنا ... عدة دقائق

فقط ...

قال الرجل الفرنسي :

- تقصد أن هناك سيارة ستقلنا المسافة الباقية من الرحلة ؟

تساعت هيلارى :

- هل تعطلت المحركات ؟

ابتسم " بيترز " وهو يقول :

- أعتقد ان المحركات سليمة ولكن لابد أن يفعلوا شيئاً مثل هذا ...

أخيراً أقبلت سيارة اتوبيس صغيرة يقودها سائق من البربر بسرعة ثم توقف إلى جوارهم ودهشت " هيلارى " وهى تسمع مسز " بيكر " تقول لهم بلهجة الأمر :

- هيا بسرعة ... لقد ضاع وقت كثير

على الفور فتح السائق الجزء الخلفى من السيارة فظهر صندوق ضخم تعاون معه " بيترزوايريكسون " فى إنزاله إلى الأرض فبدأ ثقيلاً للغاية .. فتح الرجل الصندوق فاقتربت " هيلارى " لترى ما يحتويه فجذبتها مسز " بيكر " بعيداً وقالت :

- لا داعى للنظر إلى داخل الصندوق ...

- لماذا ؟ ماذا به ؟

- يوجد به بعض الجثث .. لا تتعجب هكذا .. لقد قام الدكتور " بارون "

بشراؤها لإجراء بحوث طبية ...

قال الرجل الفرنسي : سوف تنتهى المرحلة الأولى من رحلتنا هنا يامسز
" بيترتون " ... سيتم وضع الجثث فى الطائرة ثم تشعل فيها النيران ..
سوف نراها ونحن نستقل السيارة

– ولكن لماذا ...

قال الدكتور " بارون " : لا شك أنك تعرفين إلى أين نتجه ..إننا نتجه إلى
المجهول ...

الفصل الخامس

بدأت " هيلارى " تفهم الدور الخطير الذى تقوم به مسز " بيكر فى هذه المنظمة العجيبة .. قالت المرأة :

- هيا أسرعوا إلى السيارة ... لقد تـُخـرنا على الموعد ...

وفى السيارة قالت " هيلارى " لمسز " بيكر " :

- هل أنت التى تقومين بدور ضابطة الاتصال ؟

قالت مسز " بيكر " :

- نعم ... إننى أتولى مسئولية العلاقات العامة .. فلن يشك أحد فى

أمرأة امريكية كثيرة التنقل بين البلدان تكثر من الثروة مع الجميع ...

تخيلى ماذا سيحدث عندما يطالع الناس خبر احتراق الطائرة بك للمرة

الثانية ؟

سيقولون يالها من أمراه سيئة الحظ كتبت لها النجاة فى المرة الأولى

ولكنها ماتت محترقة فى المرة الثانية .. وسوف يعثرون على العديد من

الجثث المشوهة تماماً ...

قالت " هيلارى " لنفسها : يالهم من شياطين ؟ إنها خطة يعجز الشيطان
عن وضعها ...
قالت :

- ولكن ما ذنب هؤلاء المساكين ؟

- سوف تتعجبين عندما أذكر لك حقيقة المجموعة التى معنا ... مستر
"أيريكسون" من كبار علماء الطبيعة ... الدكتور " بارون " من أشهر علماء
الجراثيم .. مستر " بيترز " عالم كيمائى مرموق .. مس " فيدهايم " ليست
راهبة كما يبدو لك بل هى اخصائية فى الغدد بينما أنا مجرد ضابطة
اتصال كما ذكرت ...

قالت " هيلارى " :

- وماذا عن مسز " هيدرنجتون " ؟

- أعتقد أن مهمتهاهى مراقبتك فى كازابلانكا والتأكد أنك غير مراقبة ،
وحتى الآن لم أعرف حقيقتها فربما كانت تنتمى إلينا ...

انظرى انها تشتعل الآن ..

نظرت " هيلارى " من نافذة السيارة فرأت الطائرة تشتعل ثم سمعت
نوى انفجار ...

ضحك " بيترز " وقال :

- سوف يعلم الجميع أن ستة أشخاص لقوا حتفهم بعد سقوط الطائرة

التي كانت تقلهم إلى مراكش ، ولن يتخيل أحد أن الجثث كانت لأشخاص ماتوا قبل ذلك بفترة طويلة .

قالت " هيلارى " :

- ولكن هذا شئ مخيف ...

قال " بيترز " :

- هل تقصدين الذهاب للمصير المجهول ؟ ربما كان معك حق ، ولكنه أفضل الطرق ... إننا نحاول نسيان الماضى والتوجه إلى المستقبل ...

ثم قال بانفعال :

- سوف نترك الأشرار وفاسدى العقول والحكومات الفاشلة وتجار الموت والدمار لكي نذهب إلى دنيا نظيفة رائعة تخلو من هذه القساویر ... دنيا العلم ...

تتهدت " هيلارى " وقالت :

- كان زوجى يردد هذا الكلام

- توماس بيترتون ؟ للأسف لم أتعرف به فى الولايات المتحدة رغم أننا حضرنا بعض المؤتمرات سوياً .. إننى أحترمه للغاية من أجل الجهاز الرائع الذى اخترعه وهو جهاز تفتيت الذرة ... أعتقد أنه كان يعمل مساعداً للبروفسير " مانهايم " ؟

- نعم ...

- سمعت أنه تزوج من ابنة الدكتور " مانهايم " ... ولكن يبدو ...

فقاطعته قائلة :

- إتنى لست هى .. إتنى الزوجة الثانية له حيث توفيت الزوجة الاولى فى أمريكا ...

- نعم .. لقد تذكرت .. فبعد وفاتها رحل عن الولايات المتحدة وذهب إلى انجلترا ثم اختفى بطريقة مثيرة

لقد تلاشى عندما كان يحضر أحد المؤتمرات فى باريس وذهب إلى المجهول !!

شعرت " هيلارى " بالقلق بسبب براءة هذه المنظمة الشيطانية فى تدبير الخطط المحكمة وخداع السلطات ... لقد اتخذوا كافة الاحتياطات لحمايتها وتتبع خطواتها ، و لكن المنظمة نجحت فى خداعهم والذهاب بها إلى هذا المكان المجهول ولا أحد يعرف أين هى الآن ..

وعندما يطالعون فى صحف الغد نبأ وفاتها فى حادث طائرة سوف ينتهى بالنسبة لهم ولن يهتم أحد بالبحث عنها ...

ترى هل سيعرف " جيسوب " الحقيقية ؟ لقد دبوا الخدعة ببراعة منقطعة النظير ولن يتمكن أحد من تمييز معالم أى جثة من الجثث المحترقة....

ولكن إلى تذهب بهم هذه السيارة ؟ انها تخترق قلب الصحراء فهل ستتقطع صلتها بالعالم بعد ذلك ؟ ان هذا شئ مخيف

قالت لمسز " بيكر " :

- إلى أين ستذهب ؟

- لا تتعجلي الأمور ستعرفين كل شئ في الوقت المناسب ...

انطلقت السيارة بسرعة بينما بدأت " هيلارى " تشعر بالقلق ...

كانت السيارة تخترق طريقا مقفرا للغاية وفشلت محاولاتها في تحديد الطريق فاستسلمت للنوم

استيقظت على صوت " بيترز " يقول لها :

- يبدو أننا وصلنا ...

وجدت " هيلارى " الظلام حالكا وقادهم رجل علي ضوء أحد المشاعل حتى وصلوا إلى منزل ريفي محاط بأشجار النخيل وأمامه امرأتان من البربر ...

خصصت غرفة للنساء الثلاثة " هيلارى " و " مسز " بيكر " والراهبة ... وكانت الحجرة خالية من الأثاث عدا بعض الفراش على الأرض ... فقالت مسز " بيكر " :

- كم أتمنى أن أقضى ليلتي في فندق فخم بعد هذه الرحلة المرهقة ..

قالت الراهبة بصوت خشن :

- إن الدعة والراحة تقتل الهمة وتؤدي في النهاية إلى الذل والخضوع ..

قالت مسز " بيكر " :

- إننى لست مثلك ... فبإمكانك النوم على الحصر والحجارة أما أنا فلا

أتحمل

ثم قالت لـ " هيلارى " :

بعد العشاء سوف أعطيك قرصا من الأسبرين حتى يمكنك النوم ...
وبعد العشاء وتناول الشاي غرق الثلاثة فى نوم عميق ..

فى صباح اليوم التالى قالت مسز " بيكر " لزميلتيها :

- سوف نستأنف الرحلة فى المساء ...

ثم وضعت على الأرض بعض الثياب الوطنية وقالت :

- سوف نرتدى الثياب الوطنية لمراكش ونخلع ثيابنا ...

وخلال النهار راحت " هيلارى " تتطلع من فوق سطح المنزل إلى قرية
تبو على البعد وهى من القرى الريفية وتشاهد ماحولها من المناظر
الطبيعية ...

بعد الغروب أعلنت مسز " بيكر " إنهم سيواصلون الرحلة ولم يركبوا
سيارة ميكروباس كالمرّة السابقة ، بل ركبوا سيارة سياحية مكشوفة ...
كانت النساء يرتدين الثياب الوطنية ويضعن النقاب على وجوههن أما
الرجال فكانوا يلبسون الجلابيب والعباءات

استمرت الرحلة الشاقة خلال الليل وشعروا جميعاً بالارهاق فنام بعضهم
وغرق البعض الآخر فى الصمت والتأمل ...

أشرقت الشمس ولكن السيارة مازالت تواصل اختراق الصحراء ،
وأخيراً توقفت ونزلوا منها لتناول طعام الإفطار ...

قال " بيترز " لـ " هيلارى " :

- يبدو أنك تشعرين بالارهاق الشديد ...

- نعم .. كانت رحلة شاقة .. ترى أين نحن الآن ؟

- لست أدري ، ولكن ذلك من أهم عناصر خطتنا حتى لا يستطيع أحد
تتبع أثارنا والوصول إلينا .. فى البداية ركبنا سيارة ميكروباس مملوكة
لإحدى شركات التعدين ثم سيارة سياحية وكنا على صورة جماعة من
الوطنيين وهذا يحدث كثيراً هنا ، أما المرحلة التالية من الرحلة فلا أعلم
عنها أى شئ ..

- ولكن إلى أين نحن ذاهبون ؟

- لا فائدة من إلقاء مثل هذه الرسالة لأنك لن تحصلى على أى جواب ..

استمرت الرحلة أياماً .. ورغم أن " هيلارى " كانت تعيش مع هذه
المجموعة طوال الليل والنهار إلا أنها كانت تنفر من زفكارهم وتشعر بأنهم
غير أسوياء ...

كلا منهم مصاب بنوع من الهوس ... فالدكتور " بارون " مثلاً يتمنى

الحصول على مبالغ طائلة من النقود حتي يواصل تجاربة العملية للتوصل
إلى قوة تدميرية هائلة فى حجم صغير للغاية كحجم أنبوية الاختبار
قالت له " هيلارى " يوماً :

- وإذا حصلت علي هذه القوة فهل يمكنك استعمالها فى التدمير ؟

فنظر إليها نظرات تدل على الهوس وقال لها :

- وما المانع ؟ لابد من استعمالها فى وقت الضرورة ...

شعرت بالخوف الشديد منه ومن الآخرين ان ما يفكرون فيه لهو شئ
رهيب ... فهذا المجنون يتحدث عن سلاح رهيب يبىد ملايين البشر بكل
بساطة ..

أما " هيلدا نيدهايم " فكانت " هيلارى " تكرها بشدة ... كانت مغرورة
ومتعجرفة ...

شعرت بالميل نحو " اندرو بيترز " رغم أنها فرغت منه بسبب نظراته
التي كانت تدل على الهوس أحياناً ..

فى أحد الايام قالت له :

-إننى لا أصدق أنك تريد إقامة حياة جديدة نظيفة ... أنك تريد تدمير
الكون ...

قال بلهجة الاستنكار :

- ما هذا الذى تقولين يا " أوليف " ؟

- إن الأمر فى غاية الوضوح فكرا هيترك للحياة وللناس لا تخفى على أحد

كانت " هيلارى " تنظر الى " ايريكسون " على أنه رجل يعيش فى الأوهام ويتعلق بالمثاليات المستحيلة ...
سمعتة يردد :

- يجب أن يسيطر العلماء على العالم ، فمن الخطأ أن يتولى مسئولية الحكم غير العاقرة من أمثالنا ...

فى اليوم الثالث توقفوا فى قرية صغيرة حيث نزلوا بفندق متواضع فطلبت منهم مسز " بيكر " أن يخلعوا الثياب الوطنية ويرتدون ثيابهم الأوربية مرة أخرى...

قالت لهم :

- أرجو أن تنتهوا بسرعة حتى نلحق بالطائرة ...

قالت " هيلارى " متعجبة :

- طائرة ؟ !

- نعم ... لقد تحطمت ضلوعنا من هذه السيارات

بعد قليل كانوا يستقلون هليكوبتر صغيرة قادها طيار فرنسى بارع لعدة ساعات فوق الصحراء والجبال الشاهقة ...

بعد ظهر اليوم التالى هبطت بهم الطائرة فى سهل محاط بالجبال وفى أقصى السهل مبنى أبيض ...

قالت لهم مسز " بيكر " :

- عليكم الذهاب إلى هذا المبنى للاغتسال وتناول الطعام والشراب قبل مواصلة الرحلة ... ويعد أن تناولوا الطعام واستراحوا قليلاً

قالت لهم مسز " بيكر " :

- سوف أترككم هنا أيها الأصدقاء الأعزاء .. فهذه هي المرحلة الأخيرة للرحلة ..

سألتها " هيلارى " قائلة :

- هل ستعودين إلى مراکش مرة أخرى ؟

- كلا بالطبع .. هل نسيت اننى الآن فى عداد الموتى ؟ ألم تحترق بى الطائرة ؟

لدى العديد من المهام فى دول أخرى ...

قالت " هيلارى " :

- ألا تخشين من مقابلة أحد من معارفك بالمغرب ؟

قالت وهى تضحك :

- انه ليس بالمأزق الصعب يا فتاتى ... سوف أزعم ان التى احترقت هى شقيقتى التوأم وبالطبع سوف أغير اسمى ولون شعري ونبرات صوتى...

ثم ودعت مسز " بيكر " رفاقها واستقلت الطائرة

وبعد قليل أعلن احد الخدم ان السيارات جاهزة للرحيل ...
وجدت " هيلارى " سيارتين يقود كلا منهما سائق يرتدى زياً رسمياً ،
فجلست فى السيارة ، الاولى بجوار السائق الفرنسى وكانت تحدثه بين
الحين والآخر عن بعض المشاهد التى تمر بها ثم سألته :

– هل تستغرق الرحلة وقتاً طويلاً ؟

– كلا ... ان الرحلة من المطار إلى المستشفى تستغرق حوالى
ساعتين...

– المستشفى ؟!

ثم انتبعت إلى أن " هيلدا نيدهايم " كانت ترتدى زى الممرضات الآن ..
سألت السائق :

– ماذا تعرف عن هذه المستشفى ؟

– إنها من أحدث المستشفيات فى العالم وتوجد بها أجهزة علمية راقية ،
وبين الحين والآخر يزورها كبار الأطباء ويبدون إعجابهم بها وبما يجرى فيها
من أبحاث متقدمة لخدمة البشرية .

قالت " هيلارى " :

– بالطبع .. إن هذا شئ مؤكد ..

– فى الماضى كان هؤلاء التعساء ينفون إلى الجزر المهجورة حتى
يرحمهم الموت من عذابهم ، أما فى الوقت الحاضر فإنهم يعالجون بالدواء
المدىح الذى قام الدكتور " كولونى " باكتشافه ، وقد حقق هذا الدواء

نجاحاً ساحقاً فى معالجة كل الحالات حتى المستعصية منها ...
وتعجبت " هيلارى " لحديث السائق .. فمن هم هؤلاء التعساء الذين
تحدث عنهم ؟ ومن أى مرض يعالجون ؟
استقبلهم رجل زنجى أمام باب المستشفى ودعاهم للدخول.....
دخلوا إلى فناء متسع حوله سور من القضبان والاسلاك وخلف هذه
القضبان بعض الناس يروحون ويفدون ...
وما كادت " هيلارى " تنتظر إليهم حتى شفت قائلة :
- يا إلهى انهم مرضى بالجذام ...

الفصل السادس

بمجرد دخولهم إلى المستشفى أغلقت البوابة خلفهم ورن صوت الباب رنيناً حاداً فشعرت " هيلارى " بالخوف الشديد أن تظل حبيسة فى هذا المكان

هل يمكن أن تكون هذه هى النهاية ؟

إن الأعداء يحيطون بها فى هذه المنطقة المجهولة ، ومن المؤكد أن كل شئ سوف ينكشف بعد لحظات ويفتضح أمرها ... قالت لنفسها :

- لقد وقعت فى فخ محكم لا فكاك منه ... لأن " توماس بيتريثون " بمجرد أن يرانى سوف يصرخ : إن هذه ليست زوجتى " أوليف " ...

وعلى الفور يتم القبض على لائتى جاسوسة ...

خطرت ببالها فكرة جريئة ...

لم لا تعكس الموقف ... فقبل أن يصرخ " بيتريثون " قائلاً أنها ليست زوجته ، ستصرخ هى قائلة :

- إن هذا الرجل ليس زوجى ...

ستحاول إتقان دورها وافتعال الدهشة والرعب ...

ومن المؤكد أنهم سيرتابون فى أمر الرجل ويتساطون : هل هو حقاً العالم الشهير " توماس بيتوتون " أم أنه شخص ينتحل شخصية للتجسس عليهم ؟

وبالطبع لا يمكن أن يشكوا فيها فى هذه الحالة .. ولكن ... فى هذه الحالة سوف تحكم على " بيتوتون " بالموت ... فهل يرضى ضميرها بذلك ؟ ولكن .. كلا .. إنه يستحق الموت .. لقد خان بلاده وباع أسرارها لهؤلاء الشياطين فهو لا يستحق أى رحمة ...

أقبل عليهم رجل ضخم الجسم وسيم الوجه راح يصافحهم فرداً فرداً .. صافح " هيلارى " وقال لها :

- من المؤكد أنك متلهفة للقائه ؟

شعرت باضطراب شديد وأصابها الدوار

وعلى الفور وضع " اندرو بيترز " يده على زراعها وقال للرجل العملاق :

- إنك لا تعلم ان مسز " بيتوتون " تعرضت لحادث سقوط طائرة وأصيبت بارتجاج فى المخ ، ثم قطعت هذه المسافات الطويلة وهى ما تزال فى فترة النقاهة ، ولذلك فإن حالتها سيئة للغاية ويجب أن تستريح تماماً فى غرفة مظلمة لمدة ساعتين على الأقل

ولأول مرة تشعر " هيلارى " أن هناك إنسانا يحمل قلبه نرة من الرحمة

وسط هؤلاء الناس .

ولكنها استجمعت شجاعته وقالت بثقة :

- كلا ... إتنى أريد أن أقابل " توم " حالياً ... أرجوكم اذهبوا بى إليه ...

قال العملاق :

- معك حق ... إتنى أقدر مشاعرك تماماً ...

ثم أشار إلى امرأة تقف خلفه وقال :

- أقدم إليكم مسز " جينسون " :

ثم قدم إليها القادمين وبعد أن انتهى قال :

سوف تصحبكم مسز " جينسون " إلى مكتب التسجيل أما أنا فسوف

أصحب مسز " بيترتون " إلى زوجها وسأعود إليكم بعد قليل ...

تبعته " هيلارى كرافن " وعندما التفتت إلى الوراء وجدت " اندرو بيترز "

ينظر إليها كما لو كان يريد أن يذهب معها ...

قال لها الرجل :

- اننى أدعى " بول هايديم " ...

قالت " هيلارى " :

- ولكن الأمر مخيف للغاية .. كيف يمكن احتمال الحياة هنا وسط هؤلاء

المجنومين ؟

- سوف يصبح الأمر مألوفاً لك بعد فترة قصيرة ...

توقف أمام أحد الأبواب وقرعه وبعد لحظات فتحه وقال :

- هاهى زوجتك يا " بيترتون " ... لقد حضرت أخيراً ...

ثم تنحى عن الباب ليفسح لها مكاناً للدخول

أخيراً جاءت اللحظة الحاسمة .. لا سبيل أمامها للتراجع .. دخلت بخطى ثابتة .. كان الرجل ينظر من النافذة ، وعندما استدار إليها وجدته شديد الوسامة .. أنه يختلف كثيراً عن الصورة التى رأتها مع " جيسوب " ...

وقررت على الفور أن تنفذ خطتها ...

تراجعت إلى الخلف بسرعة وقالت بصوت ينطوى على الفزع :

- ما هذا ؟ إن هذا الرجل ليس زوجى " توم " ؟

ويبدو أنها نجحت فى تمثيل دورها ببراعة شديدة لأن " فان هايديم " نظر إليها بإعجاب شديد بينما قال " بيترتون وهو يضحك بهدوء :

- لقد نجحنا إذن .. إن زوجتى نفسها لم تعرفنى !!

ثم أسرع إليها على الفور وضمها إلى صدره وهو يقول بصوت متهدج :

- حبيبتى " أوليف " .. لك حق ألا تعرفينى بعد أن تغير وجهى كثيراً...إنتى آسف ...

ثم مال عليها وهمس فى أذنها :

- أرجوك أن تمثلى دور زوجتى وإلا هلكت ... إنتى فى خطر شديد ..

تركها قليلاً ثم عاد يضمها وهو يقول .

- أشعر بأن الشهور التي ابتعدت فيها عنك كأنها سنين طويلة .. ولكننا
التقينا أخيراً ...

كانت أصابعه تقبض على يدها وتحذرهما من الغدر به ..

قال :

- أعتقد أنك تأكدت الآن أنني " توم " ..

شعرت " هيلارى " بالسعادة الطاغية .. لقد هيأت لها الأقدار مخرجاً من
هذه الأزمة لم يخطر ببالها أبداً ...

فقلت :

- بالطبع يا حبيبى ... أنت " توم " العزيز .. لقد أصبت بارتجاج فى
المخ جعلنى أصاب بفقدان الذاكرة فى بعض الأحيان ، ولكن هذا لا
يستغرق إلا لحظات قليلة من حسن الحظ ...

قال " بيترتون " :

- أما أنا فقد تعرضت لحادث سيارة ، وقام الدكتور " هيرتز " جراح
التجميل بإجراء عملية لإصلاح أنفى

ثم أستدار إلى " فان هايديم " فوجده يبتسم مسروراً فقال :

- لا داعى للقلق بسبب الارتجاج يا عزيزتى ... سوف تصبحين فى
أحسن حال بعد الحصول على قدر من الراحة والرعاية ...

انسحب " فان هايديم " وأغلق الباب خلفه وعلى الفور ضمها " بيترثون "
إلى صدره وهمس قائلاً :

- فلنستمر في تمثيل الدور فقد تكون هناك ميكروفونات مخبأة ...
فهمست بدورها :

- أو كاميرات يراقبوننا من خلالها ...
فأخذا تينا جيان ويستعيدان ذكرياتهما السعيدة وعندما سألته " هيلارى "
قائلة :

- ترى هل أنت سعيد في هذا المكان ؟
قال :

للغاية ... إن الحياة هنا رائعة حقاً ...
ولكن نظراته كانت تعبر عن القلق والخوف فسألته قائلة :
- ألا توجد خطورة من العيش وسط هؤلاء المجنومين ؟
- إن هذا مجرد ستار نخفي وراءه أبحاثنا الحقيقية

هيا بنا لتلقى نظرة على جناحنا ...
وبعد أن طاف غرف الجناح قال لها :
- هل تحبين أن تستريحي قليلاً ...
- كلا

- هيا بنا إلى مكتب التسجيل

كانت المسئولة عن مكتب التسجيل سيدة تتميز بالصرامة والجمود ...
رحبت بالدكتور " بيترتون " بكلمات مقتضبة وقالت :

- أخيراً وصلت مسز "بيترتون "

رجحت " هيلارى أن تكون المرأة سويسرية ، وأشارت إليها بالجلوس ثم
قدمت إليها بعض الاستثمارات وراحت تدون بياناتها

فقال " بيترتون " :

- سوف أذهب إلى عملى ويمكنك اللحاق بى بعد الفراغ من التسجيل ..

قالت المرأة لـ " هيلارى " :

- أريد اسمك بالكامل وسنك ومحل ميلادك وأسماء أبويك والأمراض
الخطيرة التى أصابتك و الأعمال التى التحقت بها وهواياتك ومؤهلك
والطعام الذى تفضليه وهناك المزيد من الأسئلة التى ستجيبين عليها فيما
بعد

راحت " هيلارى " تجيب على جميع الأسئلة بثبات بينما كانت السيدة
تدون تلك الاجابات ...

وقالت أخيراً :

- هذا يكفى لمكتب التسجيل ... والآن يجب عليك الذهاب إلى الطبيبة
لكى تفحصك ...

شعرت " هيلارى " بالقلق فسألتها :

- هل هذا أمر ضرورى ؟

- نعم إنه ضرورى للغاية فكما تعلمين إتينا نسعى إلى الكمال
ونسجل كل شئ بدقة ...

ويعد أن فحصت الطبيبة " هيلارى " فحصاً دقيقاً قالت لها :

- عليك الآن أن تذهبي إلى الدكتور " روبيك " ...

سألتها " هيلارى " :

- من هو الدكتور " روبيك " هذا ؟

- إنه الطبيب النفسانى

- إن الأمر فى غاية البساطة يا مسز " بيترتون " مجرد اختيار للذكاء
وتحديد الملامح الأساسية لشخصيتك ...

وجدت " هيلارى " الدكتور " روبيك " رجلاً سويسرياً فى نحو الأربعين
من عمره ...

ويعد أن رحب بها وفحص البطاقة التى أرسلتها الطبيبة قال لها :

-، إن صحتك على ما يرام يا مسز " بيترتون "

سمعت أنك تعرضت لحادث سقوط طائرة منذ فترة وجيزة ... هل حدث
ذلك حقاً ؟

- نعم ... وقد أمضيت خمسة أيام فى إحدى المستشفيات فى
كازابلانكا.....

هتف الطبيب بانفعال :

- إن هذه الفترة غير كافية على الإطلاق ...

- كنت أتلطف على مغادرة المستشفى ومواصلة رحلتى ...

- لقد أسأت التصرف يا سيدتى .. ان هذه الإصابة تحتاج الى فترة طويلة من الرحلة التامة ، فرغم أنك تشعرين بالتحسن فى البداية إلا أنك عرضة للآثار الجانبية الخطيرة ، وأرى الآن أن أعصابك مضطربة لا شك أن خوضك لهذه الرحلة الشاقة بعد الإصابة هو السبب فى ذلك ...

هل تشعرين الصدا ع ؟

- نعم .. أشعر بصدا ع شديد فى بعض الأحيان وبنوار كما أنتى أفقد ذاكرتى لبعض الوقت ...

- هذه أعراض طبيعية سوف تزول بالعلاج والراحة ...

ثم أخذ يجرى عليها بعض الاختبارات ويوجه إليها الأسئلة ويدون النتائج فى استمارة أمامه ثم قال أخيراً :

-إنتى أكون سعيداً عندما أفحص إنساناً عادياً لا يتمتع بالعبقرية .. أرجو لا يغضبك قولى ...
فضحكت قائلة :

- ماذا يغضبنى فى ذلك ؟ أعلم جيداً أنتى لست عبقرية

- قد يحسدك العباقرة على ذلك فإن حياتهم لا تطاق .. اننى أتعامل هنا مع هذا النوع وهم معرضون للإصابة باضطرابات عصبية دائماً ... ان أعصاب العالم العبقرى تكون متوترة دائماً رغم ما يبدو عليه من هدوء

ظاهري

قالت " هيلارى " :

- معك حق ... لقد رأيت ذلك بنفسى ...

- كانت تتحدث بوصفها زوجة للعالم " بيترتون " عاشرة فترة طويلة
تكفى للحكم عليه ..

فمد إليها يده مصافحاً وقال :

- سوف تذهبين الآن إلى الأنسة " لاروش " لتذهب معك إلى قسم
الملابس حتى تختارى ما يناسبك منها ...

وجدت " هيلارى " الأنسة " لاروش " تتميز بالجاهلية والمرح بعكس باقى
النساء فى المستشفى قالت لها :

- إنتى سعيدة بالتعرف على امرأة جذابة مثلك وأرجو أن أوافق فى
مساعدتك ، ولاشك أنك الآن فى حاجة إلى ثياب لا ستبدال ثيايك الحالية ،
ويعد أن تحصلى على قدر من الراحة يمكنك العودة فى الأيام التالية لإلقاء
نظرة على مالى من ثياب ومستحضرات التجميل ...

قالت " هيلارى " :

- إنتى الآن فى أمس الحاجة إلى مشط ...

ضحكت مس " لاروش " وأخذت تدون مقاسات الفتاة فى مفكرة لديها
وقالت :

وسوف أبعث إلى غرفتك بكل ما طلبت وأتمنى أن تترددى على محلنا كل

فترة .. إننى أرى أن نوك رائع بعكس النساء العالمات ... إن مستحضرات التجميل لا تهمن على الاطلاق ...

منذ قليل كانت عندى إحداهن إنها زميلتك فى السفر ... وهى امرأة لاتطاق ...

قالت " هيلارى " :

- يبدو أنك تتحدثين عن " هيلدا فيد هايم " ...

- نعم ... إنها عالمة ألمانية ... ومعروف عن الألمانية عدم الاهتمام بالتجميل رغم أنها سوف تصبح رائعة الجمال إذا اهتمت بنفسها قليلاً .. لقد فهمت انها دكتورة ولكن الرجل لايهتم بالمؤهلات العلمية فى المرأة بل يهتم بجمالها ...

انظرى .. هاهى امرأة لا يمكن أن ينظر إليها الرجال ...

التفتت " هيلارى " فرأت مسز " جيسون " بوجهها الجامد ونظارتها العتيقة وهى تقف أمام مدخل الباب ...

قالت لـ " هيلارى " :

- مسز " بيترتون " إذا كنت قد فرغت فهيا بنا لمقابلة الدكتور "نيلسون" نائب المدير ...

إنه دكتور فى الإدارة .. فى العادة يقابل الوافدين الجدد ولا تتكرر هذه المقابلة إلا إذا واجهت أى مشاكل ...

- صافحها الدكتور " نيلسون " بحرارة ثم قال :
- دعيني أولاً أهنتك على سلامة الوصول وعلى النجاة من هذا الحادث المروع الذى وقع لطائرتك
- أشكرك يا سيدى ...
- استطرد الدكتور " نيلسون " قائلاً :
- انتنى على استعداد للإجابة على كل ما يخطر ببالك من أسئلة ...
- شعرت " هيلارى " بالحيرة وقالت أخيراً :
- بصراحة ... أريد أن أعرف أين أنا الآن ؟ هل يمكنك الإجابة عن هذا السؤال ؟
- اتسعت ابتسامة الرجل وقال :
- من المؤكد انكم تظنون أنفسكم وراء الستار الحديدى وذلك يعود إلى ما يقولونه عنا من أكاذيب ...
- ولكن كما قلت لك ان كل هذه أكاذيب فنحن هنا فى قلب الصحراء المغربية بأفريقيا ، وما هذه المستعمرة للجذام إلا ستار يحمى علماءنا الأفاضل من الفضولين ...
- قالت :
- معك حق لقد كنت أظن فى البداية أننا وراء الستار الحديدى ..
- إن الوضع هنا يختلف تماماً .. فرغم أننا نعيش فى عزلة عن العالم إلا

أن وسائل الترفية متوافرة

بالطبع سيكون زوجك مشغولا طوال الوقت بعمله ويمكنك التعرف
بزوجات العلماء وستجدينهم على قدر كبير من اللطف ...

قالت وهي مترددة :

- ترى هل يسمح لنا بالخروج من هنا ؟

قال :

- الخروج ؟

- اننا نعيش في عالم متكامل يتحقق فيه الاكتفاء الذاتى ولسنا في حاجة
إلى العالم الخارجى ، وكل وافد إلينا يعلم هذه الحقيقة ولا يفكر في الخروج
من هنا ...

الفصل السابع

عادت " هيلارى " إلى الجناح الذى سوف تقيم فيه مع زوجها المزعوم "بيترتون" قالت له :

-إن الحياة هنا تشبه الحياة فى المدارس الداخلية ...

قال " بيترتون " :

- نعم ... ففى البداية شعرت بمثل هذا الشعور .. ولكنه شئ رائع أن يرتد الانسان إلى عالم الطفولة الجميل ..

استمر الحوار بينهما على هذه الصورة وكانا فى غاية التحفظ خشية أن يكون هناك ميكروفون خفى ينقل أحاديثهما إلى الآخرين ...

تعجبت "هيلارى" من موقفها الشاذ ..فهى تعيش فى غرفة واحدة مع هذا الشخص الغريب وكلاهما يشعر بالقلق والخوف من الآخر ...

قالت ببساطة :

- لقد قاموا بإجراء العديد من الفحوص الطبية والنفسية على ...

- انهم يفعلون ذلك مع كل القادمين الجدد فهذه كلها اجراءات روتينية.

- وأنت أيضاً تعرضت للفحص ؟

- بالتأكيد ...

- وبعد انتهاء الفحص التقيت بالدكتور " نيلسون " نائب المدير وتحدثنا بعض الوقت .

- ان هذا الرجل إدارى بارع .

- ولكننى لم أقابل المدير ... ترى هل سأقابله فيما بعد ؟

- لا أعتقد ذلك انه يلقي علينا بعض المحاضرات أحياناً ، وهو يتمتع بشخصية رائعة ...

وعند هذا الحد قطب جبينه فأدركت انه يريد التوقف ...

بعد قليل قال لها :

- فى الساعة الثامنة يبدأ هنا موعد تناول العشاء ، فهيا بنا حتى ننتهى للنزول إلى قاعة الطعام ...

ذهبت إلى غرفتها و أبدلت ثيابها وتحلت ببعض الحلى المقلدة ثم هبطت مع " بيترتون " إلى القاعة وكانت مسر " جيسون " فى استقبالهما فقالت :

- لقد حرصت على أن أخصص لك يا " توم " مائدة كبيرة وسيشارككما فيها رفاق زوجتك فى الرحلة وكذلك " مارشيسون " وزوجته...

وجدا على المائدة " اندى بيترز " و " ايريكسون " فقدمت إليها زرجها

زرجها المزعوم ، وبعد قليل حضر الدكتور " مارشيسون " وزوجته فقدمهما إليهم قائلاً : - أن " سيمون " يعمل معى فى نفس المعمل .

كان " سيمون فى نحو السادسة والعشرين من عمره صاحب الوجه نحيف الجسم بعكس زوجته " بيانكا " التى كانت ممثلة الجسم ...

رحبت " بيانكا " بـ " هيلارى " ثم سألتها بشئ من التحفظ !

- أعتقد أنك لست عالمة ؟

- كلا ... لقد عملت سكرتيره فترة طويلة قبل أن أتزوج ...

قال الدكتور " سيمون مارشيسون " :

- لقد درست " بيانكا " الاقتصاد والقانون التجارى ، وهى تلقى علينا

المحاضرات فى بعض الأحيان ولكن لا يحضرها عدد كبير ...

قالت " بيانكا " :

- حتى لا أشعر بالملل هنا بدأت أدرس أحوال هذا المجتمع من أجل

تطويره ويمكن أن تقوم مسز " بيترتون " بمساعدتى إذا لم تكن مرتبطة

بعمل آخر

اضطرت " هيلارى " الترحيب بهذا الاقتراح بينما قال " اندرو " :

- إنتى أريد البدء فى العمل فوراً حتى لا يصيبنى الكسل .

قال " سيمون " :

- إن هذا أفضل مكان فى العالم للبحث العلمى ، فالأجهزة متوفرة ولا

يوجد أحد يتدخل فى عملك أو يقطع أفكارك

وراح " بيترز " يتحدث مع الدكتور " سيمون " فى المسائل العلمية فقالت
" هيلارى لا يريكسون " :

- هل بدأت تشعر بحب الوطن ؟ انى أرى عينيك شاربتين ..

قال :

- إنى لا أحفل بهذه الشعارات الجوفاء .. حب الوطن والروابط الأسرية
ورعاية الأطفال ومشاعر الحب والوفاء ... إن كل هذه قيود سخيقة تقيد
الانسان وتحد من انطلاقه فيجب التخلص منها ...

- وهل تشعر بأنك ستكون هنا حراً طليقاً ؟

- أرجو ذلك رغم أننى لم أعرف الحقيقة بعد ...

قالت " بيانكا " لـ " هيلارى " :

- يمكننا أن نمارس الكثير من الألعاب المسلية بعد العشاء مثل البريدج
والألعاب الورق ، كما أن قاعة السينما تعرض أحدث الأفلام ، وهناك قاعة
للممثل وكذلك سهرات راقصة ...

قال " ايريكسون " :

- إن كل هذا مضيعة للوقت ولايمكن لأى عالم أن يضيع وقته فى مثل
هذه الأشياء

قالت له " بيانكا " بحدة :

- ولكن هذه الأشياء ضرورية للغاية حتى نستطيع مواصلة العيش هنا....

فتنظر إليها ببرود بينما قالت " هيلارى " :

- سوف أنام الليلة مبكراً لأننى أشعر بالإجهاد الشديد .

قالت " بيانكا " :

- هذا حقك يا عزيزتى بعد كل الأموال التى كابدتها

قال " بيترتون " :

- إن الجورائع فلم لا تصحبينا يا "أوليف " إلى حديقة السطح قليلاً ؟

وجدت " هيلارى " أن حديقة السطح تحفة فنية رائعة حيث كانت حافلة بأروع الزهور كما كانت تتوسطها نافورة جميلة يتدفق منها الماء بينما تنعكس عليها الأضواء الملونة ...

قالت " هيلارى " :

-إنتى لا أصدق عينى .. كائى أعيش إحدى قصص ألف ليلة ... كل هذا الجمال فى قلب الصحراء ؟

قال " سيمون مارشيسون " :

- معك حق ، ولكن توافر الماء الغزير و الأموال الكافية يتيح لنا عمل المستحيل ...

- ومن أين يأتى هذا الماء الغزير ؟

- من نبع قمنا بحفرة فى قلب الجبل باستخدام أحدث الأساليب العلمية...

قضوا وقتاً طيباً فى حديقة السطح ثم بدأوا فى الانسحاب واحداً واحداً وتبقى فى النهاية "بيترتون" و "هيلارى" ...

أمسك بيدها وقادها إلى أحد المقاعد المتطرفة وحقق فى وجهها وقال :
- أريد أن أعرف ... من أنت ؟

أخذت يدورها تتفرس فى وجهه ثم سأله :

- لماذا كذبت عليهم وأدعيت أننى زوجتك ؟

- مجرد نزوة لقد تخيلت أنك جئت إلى هنا لإنقاذى ومساعدتى على الخروج من هذا المكان ...

فقلت :

- أريد أن أعرف الطريقة التى جئت بها إلى هنا ؟

ضحك ضحكة باهتة وقال :

- لم يتم اختطافى عنوة كما تتخيلين .. لقد جئت إلى هنا بمحض إرادتى وكنت متحمساً للغاية ..

- هل تخيلت أنك سوف تصل إلى هذا المكان ؟

- كلا .. كان الوصول إلى أفريقيا هو آخر شئ يخطر ببالى ، فى البداية كنت سعيداً بهرنى البريق وخدعتنى الشعارات الكاذبة ... السلام

العالمى....الحرية التعاون العلمى بين مختلف الشعوب ... القضاء على
استغلال الرأسمالية وتجار الموت إلى آخر هذه الشعارات الجوفاء .. لقد
انخدعت كما انخدع أصدقاؤك مثل " بيترز " وغيره

- وماذا اكتشفت بعد وصولك ؟

- سوف تعرفين كل شئ ، ولكن أهم شئ سوف تشعرين به أنك فقدت
حريتك إلى الأبد ... تلك الحرية التى كنا نحلم بها دائماً ..

إنه نفس الوضع الذى جعلنى أتمرد على البقاء فى انجلترا ، بل إن
الوضع هناك كان أفضل ... التجسس على كل خطواتى .. متابعة كل
نشاطاتى ومحاسبتى على كل كلمة أنطق بها حتى تحطمت أعصابى فى
النهاية ...

وهنا وجدت أن ما كنت أحلم به كان مجرد وهم وسراب وأنتى نزيل
سجن حصين فرغم توافر المال والأجهزة العلمية الحديثة والإمكانيات
الهائلة إلا أنه سجين بكل معنى الكلمة ..

وبعد صمت قليل قال لها :

- لماذا جئت إلى هنا وزعمت أنك زوجتى " أوليف " ؟

نظرت إليه بحيرة وغمغمت :

- أوليف ...

حاولت أن تذكر له الحقيقة ولكنها شعرت بالاشفاق عليه فقال لها :

- أين أوليف ؟ هل وقع لها مكروه ؟

وأخيراً ذكرت له الحقيقة فقال :

- ماتت أوليف ؟ !

ماتت أوليف وجئت أنت لتحلى محلها .. لماذا فعلت ذلك ؟

كانت " هيلارى " تتوقع هذا السؤال وقررت أن تحجب أسرارها عنه لأنه يبدو فى حالة سيئة وربما أنهار فجأة مما يعنى هلاكها ...

لقد ذكر لها فى البداية أنه يتمنى حضورها لإنقاذه من هذا السجن وقررت أن تستغل هذه النقطة ولن تصارحه بأن " جيسوب " أرسلها للتجسس ..

قالت :

- تصادف أن كنت بجوار زوجتك فى المستشفى قبل وفاتها وقررت أن أقوم بهذه المغامرة خاصة أن قوامى ولون شعرى يشبهانها ...

- معك حق ..

- وكانت تريد أن تبلغك برسالة هامة وهذا ما دفعنى إلى المخاطرة .

- وما هى هذه الرسالة ؟

- هل تعرف شخصاً يدعى " بوريس " ؟

- نعم .. " بوريس جلايدر " إنه ابن عم زوجتى السابقة ولكننى لم أقابله أبداً ..

قالت " أوليف " :

- إن هذا الرجل خطر وعليك أن تكون شديد الحذر من ناحيته .

- ولكن لماذا يكون خطراً على ؟ ترى هل قابلها ؟

- كلا ... ولكنه أرسل إليها رسالة .. لا أعلم محتوياتها .. قالت لى :
اذهب إليه وحديثه عن " بوريس " .. إننى لا أصدق أبداً .. لا يمكننى أن
أصدق .. ولكن قد يكون ذلك صحيحاً .. وفى هذه الحالة يجب أن يكون
"توم" على حذر ...

وقد لفظت أنفاسها الأخيرة بعد النطق بهذه الكلمة ...

- ولكن لماذا احذر من " بوريس " ؟ إننى لا أفهم أى شئ ...

- إن هذا شئ رهيب .. هل قضى على أن أبقى هنا سجيناً مدى الحياة؟

قالت " هيلارى " بثقة :

- كلا ... سوف يعمل سوياً حتى نخرج من هنا ...

- ماذا تقولين .. إن هذا مستحيل ... مستحيل ...

كلا يا صديقى .. إننى لا أعترف بكلمة المستحيل أبداً ولا شك أننا سوف
تجد وسيلة للخروج من هنا .. كل ما علينا أن نفكر بهدوء ...

بالطبع كانت " هيلارى " تشعر بصعوبة الموقف ولكنها أرادت أن تبث
فى نفسه الأمل والشجاعة حتى لا ينهار ثم استطردت :

- فعليك أن تتمسك بالأمل وتفكر معى فى وسيلة فعالة للخروج من هنا

...ألا تعلم أن الكثير من المساجين أفلحوا في الهروب من السجون في ظروف أصعب من ذلك ... يمكن مثلاً أن نحفر نفقا ..

قال بلهجة تنطوي على اليأس :

- وأين لي بالوقت الذي أقوم فيه بذلك ؟

إنهم لم يأتوا بالعلماء هنا ليرفها عنهم

إنهم يريدون اختراعات أو اكتشافات هامة ... هل تعرفين مصير العالم الذي يعجز عن ذلك ؟

- أعتقد أنهم يعيدونه إلى بلاده ...

- إنهم يقتلونه !!!

- يا إلهي .. يقتلونه ... إن هذا شيء بشع

- نعم ... فما حاجتهم إليه . إنه أصبح بلا نفع لهم ولا يمكنهم أن يتحملوا مشقة إطعامه وإقامته ، وأنا الآن أشعر بذلك .. لقد شل تفكيري تماماً بعد فقدان حريتي ولم أعد قادراً على البحث ، ومنذ أن حضرت لم أفعل أي شيء وظنوا أن ابتعاد زوجتي عني هو السبب في ذلك فقاموا باستدعائك وإذا لم أقدم لهم شيئاً فسوف يقتلونني بلا تردد ...

وضعت " هيلاري " يدها على ذراعه وقالت :

- لا داعي للقلق .. سوف نجد وسيلة للفرار ..

هناك فى مراكش عقد اجتماع فى فندق المأمون ضم مس "جانيت هيزرنجتون" ومستر "جيسوب" وآخر فرنسيا ..

لم تكن صورة مس "هيزرنجتون" كما عرفتھا "هيلارى" بل كانت تبدو أصغر سناً وأكثر تألقاً وحيوية لأنها وقت لقائها بـ "هيلارى" كانت متنكرة....

قال لها "جيسوب" :

- هل هؤلاء فقط الذين اتصلوا بها فى فزان ؟

- نعم بالاضافة إلى الأمريكية التى تدعى "كالفين بيكر" .. لقد فرضت نفسها على أنا وهى ولكن هذه عادة الأمريكيين دائماً .. إنهم يتحدثون إلى الجميع ببساطة .. ولكن من العجيب أنها استقلت معها نفس الطائرة ..

قال "جيسوب" :

- هل تعتقدين أن حادث سقوط الطائرة كان مديراً ؟

ثم قال للرجل الفرنسى :

- مارأيك يا "ليبلان" ؟

قال الرجل :

- إن هذا احتمال قائم بالفعل من المستحيل أن نتأكد منه لأن جميع الجثث احترقت ...

- وماذا تعرف عن الطيار ؟

- كان المال هو كل ما يهمه ، ولم تكن لديه أية معتقدات سياسية ..

- من الواضح أنه لم يفعل ذلك بقصد الانتحار مثلاً ...

قال " ليبلان " :

- عندما فحصنا حطام الطائرة وجدنا جثثاً متفحمة تماماً لسبعة أشخاص وقد اختفت معالمها تماماً

قالت مس " هيزرنجتون " :

- وخلال إقامتها بالفندق تحدثت مع أسرة فرنسية ، وكان هناك ثرى سويدي يرافق إحدى نجومات السينما بالاضافة إلى المليونير اليونانى "أريستيد"

قال " ليبلان " :

- ان هذا الرجل عجيب للغاية ... فرغم أمواله الطائلة إلا أنه لا يحب النساء وليست له هوايات سوى جمع التحف الصينية ، وهو يقضى معظم أوقاته فى قصره بأسبانيا ...

قالت مس " هيزرنجتون " :

- ولم تتبادل مسز " بيترتون " أى حديث مع الثرى السويدي أو مع المليونير اليونانى ...

- وماذا عن الخدم ؟

- ربما نقل إليها أحدهم أى تعليمات ... لقد قامت بزيارة المدينة القديمة مع دليل وبمجرد عودتها أعلنت أنها سوف تسافر إلى مراكش

قال " جيسوب " :

- أليس من الغريب ان مسز " كالفين بيكر " قررت الذهاب معها إلى
مراكش رغم أنها كانت هناك منذ فترة وجيزة ؟ إن هذا شيء عجيب حقاً
أعتقد أن حادث سقوط الطائرة كان مدبراً ...

قال " ليبلان " :

- يمكن أن يتم الأمر ببساطة شديدة .. تهبط الطائرة في هذا الموضع
ثم تحرق عمداً ولكن ماذا عن الجثث التي وجدت بداخلها ؟
ألقى " جيسوب " نظرة على قائمة الركاب ومعه " ليبلان " ، كان مدوناً
بالقائمة ما يلي :

مسز " كالفن بيكر " - أمريكية مسز " بيترتون " - انجليزية
"توركيل ايريكسون" - نرويجي ... راهبة المانية ... " اندروبيتز " - أمريكي
الدكتور "بارون" عالم الجراثيم الأشهر في العالم ..
قال " جيسوب " :

- هل يتصور أحد أنهم يضحون بهؤلاء العلماء المشاهير ببساطة
هكذا؟ لا شك أن في الأمر سرا ولكن المشكلة أن الجثث وجدت متفحمة ..
في هذه اللحظة رن جرس التليفون فتناول " ليبلان " السماعة وأنصت
قليلاً ثم قال :

- إننى أنتظرهم الآن فأرسلهم بسرعة ...

ثم قال لـ " جيسوب " :

- إن رأيك صحيح يا عزيزى .. لقد أرسلت رجالى لجمع التحريات ويبدو أنهم جاؤا بمعلومات فى غاية الأهمية ...
وماذا قالوا ؟

- انتظرا قليلاً وسوف تسمع بأتنيك ...

دخل رجلان عليهما غبار السفر .. أحدهما يرتدى الثياب الأوربية والثانى يرتدى الثياب الوطنية ..

قال الأول :

- قمنا بتحريرات على نطاق واسع ووعدنا من يدلى بأية معلومات بمكافآت مجزية ، وقد تمكن زميلى هو وأفراد أسرته من القيام بتحريرات فى كل مكان وسوف يدلى بما حصل عليه من معلومات أمامك ...

قال " ليلان " للرجل :

- إنتى أرى على وجهك دلائل قوة الملاحظة فأرجو أن تذكر لى ما لديك .

أخرج الرجل من جيبه لؤلؤة كبيرة يميل لونها إلى اللون القرمزى وقال :

- لقد عثرنا عليها أنا ورجالى وهى تشبه إلى حد بعيد اللؤلؤة التى عرضتموها على ...

تناولها " جيسوب " منه ثم قارنها بلؤلؤة أخرى كان يحملها بجيبه فوجدتهما متماثلتين تماماً

وقد تحقق من ذلك عندما فحصهما بواسطة عدسة مكبرة ..

غمغم قائلاً :

- إن العلامة ظاهره ... لقد كانت فتاة رائعة حقاً ...

وبعد أن انتهى " ليلان " من استجواب الرجل قال لـ " جيسوب " :

- لقد عثر عليها على مسافة نصف ميل من حطام الطائرة مما يؤكد أن

جثتها ليست بين الجثث السبعة التي وجدت في الحطام ...

ثم تناول قائمة الركاب وقال :

- " أوليف بيترتون " والدكتور " بارون " .. من المؤكد أنهما ذهبا إلى

هذا المكان المجهول الأمريكية " كاليفين بيكر " سوف نحاول نسيان أمرها

الآن .. العالم " تروكيل ايريكسون " له أبحاث هامة منشورة .. الأمريكي

" اندرو بيترز " عالم كيمياء مرموق ، ويمكن أن تكون الراهبة الألمانية عالمة

متنكرة ..

لا شك أن جمع هذه الصفوة المختارة من العلماء العظام لم يتم بصورة

عشوائية ، وأنهم ما جمعوا حتى تحترق بهم الطائرة ..

من المؤكد انه تم إخراجهم من الطائرة قبل إحراقها عمداً ...

ترى من أين جاؤا بالجثث ؟

قال " جيسوب " :

- إن هذا لا يهمنا كثيراً الآن ... المهم أننا تحققنا من سلامة ركاب

الطائرة ولا شك أنهم بدأوا رحلة جديدة بداية من موقع هبوط الطائرة

هل نبدأ خطواتنا التالية من هذا الموقع ؟

قال " ليلان " :

- لقد ذهب الرجال إلى الموقع وزاروا جميع القرى والفنادق الريفية حتى عثروا على هذه اللؤلؤة في إحداها ، وقد أنكر صاحب الفندق كل شيء وأخيراً اعترف أن سيارة رحلات مرت بالفندق وكان بها ستة أشخاص قالوا إنهم أعضاء في بعثة ألمانية للتنقيب عن الآثار وأنهم يقومون بذلك دون تصريح من الحكومة ، وطلبوا منهم أن يتكتموا الأمر ومنحوهم مبلغاً كبيراً من المال ، وفي إحدى القرى المجاورة عثر أتباعنا على لؤلؤتين أخريين وتمكننا بذلك من تحديد اتجاه السيارة ...

وفي اليوم التالي عثروا على ثلاث لآلى على شكل مثلث فوق قطعة من اللبان ...

قال " جيسوب " :

- وهذا يعنى انها كانت تستقل طائرة ...

- تماماً .. فقد عثروا عليها في مطار حربي مهجور ... وللأسف توقفت أبحاثنا هنا ولا نعرف المكان المجهول الذي اتجهت إليه الطائرة ..

الفصل الثامن

قالت مس " جينسون " بطريقتها المتحفظة :

- مسز "بيترتون" لدينا اجتماع مساء اليوم حيث سيخطب المدير بنفسه
قال "بيترز" : أخيراً سوف نشاهد المدير الخفى ... لقد كنت أتمنى ذلك
منذ وقت طويل

وجهت إليه مس " جينسون " نظرة عاتبة ثم انصرفت فقال "بيترز"
لـ"هيلارى" : من الواضح أنها تقسة كما كانوا يفعلون مع هتلر
قالت "هيلارى" :

- يبدو ذلك .. لا شك أنها يمينية متطرفة ...

- عندما قررت القدوم إلى هنا كنت أتطلع للحياة فى دنيا يسودها
السلام والأخوة وكانت حماسة الشباب تدفعنى ، ولو كنت أعلم أننى سألقى
بنفسى بين أنياب هذا المجنون لما غادرت وطنى ..

قالت " هيلارى " بحماسة :

- اننى سعيدة للغاية لسماع ذلك .. كما أنتى سعيدة لأننى التقيت بك ..
قال ضاحكاً :

- لاشك أنك تشعرين بالضيق لمعاشرة العلماء ...

- نعم ... كما أنك تغيرت كثيراً خلال الفترة الأخيرة ولم تعد لديك
مشاعر الكره والحقد والمرارة ...

- كلا يا " أوليف " مازال الحقد يتلظى بداخلى فهناك أشياء يجب أن
يكرهها الإنسان !!

بعد أن تناول الجميع العشاء عقد الاجتماع فى قاعة المحاضرات
وحضره العلماء والمساعدون والكيمائيون ..

وجلست " هيلارى " بجوار " بيترتون " زوجها المزعوم وهى تشعر
باللهفة والشوق لرؤية المدير ..

ذلك الرجل الذى يتحكم فى كل شئ ويدبر الخطط الجهنمية ..

لقد سألت " بيترتون " عنه فكانت اجاباته شديدة الغموض قال :

- لم أره سوى مرتين فقط ولكنه رجل يتمتع بشخصية جبارة ويستطيع

التأثير فى الآخرين بصورة مذهشة ويسيطر عليهم تماماً ..
بعد قليل دخل الرجل إلى القاعة ووقف أمام منصة الخطابة ..
كان متوسط الطول قوى البنيان تتألق عيناه ببريق الذكاء وتشع منهما
نظرات مغناطيسية قوية ...
كان الجميع يتطلعون إليه وقد حبسوا أنفاسهم ...
قال :

- فى البداية أرحب بالزملاء الجدد الذين انضموا إلينا فى الفترة
الأخيرة ...

ان الشباب هم عماد المستقبل وهم القادرون على تغيير وجه التاريخ
واصلاح كل هذه الأوضاع الفاسدة التى أصبحت موجودة فى كل بلدان
العالم

لابد من القضاء على نفوذ الرأسمالية وسيطرة أصحاب الملايين على كل
أوجه النشاط .. وأمضى سلاح يملكه شبابنا هو العقل ، فلدينا هنا صفوة
مختارة من العقول فى شتى المجالات .. الكيمياء ... الفيزياء .. الهندسة ...
الذرة الطب .. فى جميع المجالات لدينا عقول متميزة ..

ومن قلب المعامل يمكننا أن ننتج القوة .. إننا فى حاجة إلى القوة التى
تمكنا من إحكام السيطرة على العالم حتى نضع أفكارنا العظمى وأمالنا
الكبرى موضع التنفيذ ... لن تكون هذه القوة الهائلة فى يد دولة بعينها بل
ستكون ملكاً لجميع دول العالم ...

وها أنتم هؤلاء تعدون أعظم أصحاب العقول والعبقريات فى العالم وكلكم
فى سن الشباب ..

سوف تتحدون العالم وتسيطررون على كل شئ بعقولكم وتقهررون رجال
الصناعة والرأسماليين

شعرت " هيلارى " بالنفور من هذا الرجل الذى يذكرها بالزعيم النازى
هتلر ...

ان لديه القدرة على إشعال حماسة الجماهير والاستحواذ على
اهتمامها فقد كان الجميع مشغولين إليه بقوة مسحورين بكلماته ...
أما هى فكانت تتجنب النظر إليه وشعرت حينئذ أن كلماته جوفاء ..
مجرد كلمات إنشاء وخطابة ...

استمر يخطب على هذا المنوال والجميع مسحورون بكلماته ..
وبعد أن انتهى تعالت هتافاتهم والتهبت أكفهم بالتصفيق الحماسى ..

بعد انتهاء المحاضرة همس " اندرو بيترز " فى أذن " هيلارى " :
- هيا بنا إلى حديقة السطح إننى أكاد أختنق وأشعر بالحاجة الشديدة
للهواء النقى ...

وفى الحديقة قالت له :

- إياك أن يؤثر فيك سحر هذا الرجل .. لقد كان يدمر عقولنا ..

قالت بسخرية :

- لقد سحرتنى كلماته وأسرتنى شخصيته ، ورغم ذلك فكل ما قاله
كلمات فارغة .. مجرد كلمات تثير الحماسة ..

قال " بيترز " :

- معك حق ... إننى الآن مصمم على الهروب من هنا بأى صورة ..

- كيف يمكن ذلك ؟ إننى لا أجد أى ثغرة يمكن الهروب منها ...

- كلا .. إننى أقوم بوضع خطة للهروب ..

- هل تتوقع النجاح ؟

- نعم ..

- ترى هل ستأخذنى معك ؟

تأملها قليلاً ثم قال :

- وهل تشكين فى ذلك ؟

- وماذا عن " بيترتون " ؟

انقلبت سحنته وقال :

- إن أفضل شئ لـ " بيترتون " هو أن يبقى هنا .. نعم ... إننى أعرف
الكثير ..

نظرت إليه باستغراب وقالت :

- دن الأفضل أن يبقى هنا ؟ إنتى لا أفهم ماذا تقصد بذلك هل تعنى أنه قد فقد عقله وأصبح خطراً ؟

- كلا .. إن عقلة سليم مثلنا ...

- فما الداعى لبقائه هنا ؟ انه يتلف على الهروب مثلنا ... أم لعلك تمقته لأنه باع أسرار وطنه إلى هذه المنظمة ؟

ظهر الأسى على وجهه وقال باقتضاب :

- لقد أدبت واجبى نحوك وقمت بتحذيرك وحسبى هذا

ولكن لماذا تهتمين بهذا الرجل ؟

كادت تصرخ فيه قائلة : إنتى لا أهتم إلا بك أنت .. إنتى أحبك

ولكنها أمسكت لسانها ونظرت إليه بحزن

بعد أن عادت إلى جناحها قال لها " بيترتون " :

- أرجو أن تكون قد قضيت وقتاً طيباً مع صديقك الأمريكى

أحمرت وجنتاها وقالت :

- هل تغار منه ؟ لقد كان رفيقى فى السفر ...

قال "بيترتون" :

- معك حق .. إنه وسيم للغاية وجذاب وأنت أيضاً جميلة .. من العجيب
أنتى لم أفطن إلى هذه الحقيقة إلا الآن فقط .. إننى أشعر بالاختناق فى
هذا المكان ولا أستطيع التفكير فى شئ ..

- إن الجميع هنا يفكرون ويعملون فلم لا تعمل مثلهم وتفكر ؟

- إنهم جميعاً حمقى بلا مشاعر ..

- لا شك أن بينهم أشخاصا يتمتعون بالإحساس المرهف .. لم لا تحاول
البحث عن صديق بينهم ؟

- صديقى الوحيد هنا هو "سيمون مارشيسون" ...

قالت بلهجة تنطوى على الاستكثار :

- ياإلهى ؟ كيف تستريح إلى هذا الرجل الغامض .. إننى أشعر بالخوف
منه ..

- كيف ؟ إنه رجل وديع للغاية كالأطفال ...

قالت :

- كلا .. إننى أخافه وأتمنى أن تقطع علاقتك به ...

- ماالذى يخيفك فيه ؟ لماذا تكرهينه إلى هذه الدرجة ؟

- لا أعرف .. إنه إحساس داخلى ...

على بعد مئات الكيلومترات من المقر الخفى لتلك المنظمة جلس المفتش
"ليبلان" يبحث الأمر مع مستر "جيسوب" قال له :

- أرجح أنهم غادروا قارة أفريقيا بواسطة الطائرة ...
قال "جيسوب" :

- لا يوجد ما يؤكد ذلك حتى الآن ..

- نعم ولكن ... كل الاحتمالات تشير إلى ذلك ... بل إننا نعرف تقريباً تلك
الجهة التى عليهم الذهاب إليها ...

- كلا .. لماذا يذهبون إليها بهذه الطريقة المعقدة إن الذهاب إلى هناك
يكون أسهل كثيراً من بلدان أوروبا مباشرة فلماذا يتحملون مشقة الذهاب
إلى أفريقيا ثم العودة إلى أوروبا مرة أخرى ثم الذهاب إليها رأساً ؟
قال "ليبلان" :

- معك حق يا مستر "جيسوب" .. ولكن ربما فعلوا ذلك لتضليل من
يحاول تعقبهم لمعرفة مقرهم ...

- كلا إننى أعتقد أن هناك سراً لا بد من الكشف عنه ، لقد كانت الطائرة
صغيرة وهى لا تصلح لعبور البحر المتوسط حتى لا تتعرض للمخاطر
ولا تنس أن الأمر يستلزم ضرورة الهبوط فى عدة مطارات من أجل التزود
بالوقود مما يعنيه ذلك من احتمالات انكشاف أمرهم ...

- كلا .. إنهم لم يغادروا أفريقيا حتى الآن ...

قال " ليلان " :

ولكن أين ذهبوا ؟ لقد فتشنا جميع الأماكن

- لقد كنا نقوم بعملية التفتيش و نحن مقتنعون بأنهم سيعبرون البحر المتوسط إلى أوروبا فلم لا نفتش جهة الجنوب والغرب ؟

- ليس هناك إلا الجبال الشامخة وخلفها الصحراء الشاسعة بلا نهاية ..

- من يدري ؟

قال العامل الأسمر الذي ينحدر من قبائل البربر لـ "أندرو بيترز " :

- لقد وعدت بأن تفي بوعدك إذا نجحنا ...

- نعم إننى دائماً أفى بوعدى سوف أمنحك محطة بنزين مكافئة
وفى مدينة شيكاغو ..

- أتمنى أن أذهب إلي هناك حيث يقيم شقيق زوجتى

قال " بيترز " :

- من المؤكد أنك تعلم ماذا سيحدث إذا فشلنا

قال الشاب :

- نعم ... سوف يقتلوننى أما أنتم فلن يمسمكم أى سوء لأنهم فى أشد الحاجة إلى عقولكم ...

ورغم ذلك فإننى لا أخشى الموت ..

قال " اندرو بيترز " :

- هل عرفت تماماً ماهو مطلوب منك ؟

- نعم ... بعد حلول الظلام سوف أصعد بك إلى السطح وهناك أعطيك ثياباً وطنية مطابقة تماماً لثياب الخدم التى ترتديها ..

- نعم .. ولا تنسى مكافأتك ... محطة بنزين فى شيكاغو ...

فى مساء هذا اليوم أقيمت حفلة راقصة اشترك فيها الجميع ورقص " اندرو بيترز " مع مسز " جينسون " وكان يهمس فى أننيها بكلمات ناعمة مما جعل وجهها يحمر خجلاً ، وعندما مر بـ " هيلارى " غمز لها بعينه خفية ، ولكنها أشاحت بوجهها بعيداً ...

لمحت " هيلارى " " توم " جالساً فى طرف القاعة وهو مستغرق فى الحديث مع " توركىل ايريكسون " وسمعت صوتاً يقول :

- "أوليف" ... هل تسمحين بهذه الرقصة ؟
- نظرت إلي جوارها فوجدت أن هذه الدعوة موجهة من "سيمون مارشيسون" فقالت :
- إن هذا يسعدنى
- ولكننى أجيد الرقص فعليك أن تحذرى ...
- وخلال الرقص قال لها :
- لابد أن يواصل المرء التدريب على الرقص ولكننا للأسف لا نرقص إلا نادراً ...
- ما أجمل هذا الفستان ...
- شعرت "هيلارى" بالاشمئزاز منه فقالت :
- أشكرك ...
- وبعد قليل قال وهو يلهث من فرط التعب :
- إن الحياة هنا رائعة للغاية ... لقد قلت ذلك لـ "بيانكا" بالأمس ، فالطعام جيد ومتوافر دائماً والأجور التى نحصل عليها ضخمة للغاية ولا ندفع أى ضرائب كما أننا نلقى هنا معاملة ممتازة ..
- وهل تعتقد "بيانكا" أن الحياة هنا رائعة ؟
- قال بشئ من التردد :
- ربما خالجنا شعور بالضيق فى بداية حضورنا إلى هنا ولكنها اعتادت

الحياة هنا وشاركت فى الأنشطة الاجتماعية .. لم لا تشاركينها هذه الأنشطة ؟

قالت " هيلارى " :

- إننى أميل للانطواء ولا أحب النشاط الاجتماعى ..

- إن الشئ الوحيد الذى يخفف عنك الشعور بالملل هو المشاركة فى النشاط فأنت لست عالمة كزوجك ولا يوجد ما يشغلك ...

ظهر الدكتور " نيلسون " على باب القاعة وأشار بيده إشارة خاصة فتوقفت الموسيقى وكف الراقصون عن الرقص فقال يخاطب الجميع :

- عفواً أيها الأصدقاء .. سوف تضطرون غداً إلى أن تلتزموا جناح الطوارئ ولن تخرجوا منه لأن هناك بعثة قادمة لزيارة المستشفى ولا نريدهم أن يشاهدوا أحد منكم ...

لا داعى للقلق فلن يستغرق الأمر أكثر من أربع وعشرين ساعة فقط وبعدها سوف تحصلون علي حريتكم مرة أخرى ..

ثم انسحب من القاعة ليواصل الحاضرون الرقص ..

همس بيترز فى اذن " هيلارى " :

- ألا يكفيهم هذا السجن الذى نعيش فيه حتى يحبسوتنا فى سجن أصغر منه ؟

فى صباح اليوم التالى نوت صفارات الإنذار

هرع الجميع إلى قاعة المحاضرات حيث أرشدتهم مس " جينسون " إلى جناح الطوارئ فتقدمتهم إلى عدة دهاليز عجيبة متعرجة كأنما صنعت خصيصاً لتضليلهم ..

سار الجميع خلفها وكان " اندرو بيترز " يتأبط ذراع " هيلارى " وأخفى فى يده بوصلة صغيرة وهمس فى أذنها قائلاً :

- سوف تصبح هذه البوصلة ذات نفع عظيم لنا فى يوم قريب ..

أخيراً .. توقفت مس " جينسون " فى دهليز طويل ثم ضغطت على موضع معين فى الجدار فدار حول نفسه وكشف عن فجوة كبيرة فدخلوا جميعاً....

كان هذا هو جناح الطوارئ ..

أخرج " بيترز سيجارة وهم باشعالها ولكن صوت الدكتور " نلسون " ارتفع وهو يقول :

- ممنوع التدخين هنا أيها الأصدقاء ...

قال " بيترز " معترداً ..

- أسف ..

وأعاد السيجارة إلى العلبة ولكنه أبقى العلبة فى يد ولم يعدها إلى جيبه...

وجد الجميع أنفسهم في قاعة فسيحة بها صفين من الأسرة أحدها للرجال والآخر للنساء كل في ركن منها ، وفي الركن الثالث مائدة ضخمة صفت حولها المقاعد أما في وسط القاعة فكانت هناك عدة مقاعد وثيرة ...
قالت مس " جينسون " :

- سوف تجدون هنا كل وسائل الراحة بالإضافة إلى الطعام و الشراب
وبمجرد انصراف البعثة سوف تخرجون ..

تأملت " هيلارى " القاعة الفسيحة فوجدتها بلا نوافذ ولكنها كانت مزودة
بعدة أجهزة للتكييف وكان بها العديد من رفوف الكتب ..
قال " بيترز " هامساً في أذن " هيلارى " :

- لن يشك أحد إطلاقاً أن خلف هذه الجدران الصماء مجموعة من أعظم
علماء العالم هؤلاء العلماء الذين أثار اختفاؤهم ضجة كبرى ...
استسلم الجميع للأمر الواقع واعتبروا أنفسهم في إجازة من العمل
فقضوا يومهم بين القراءة ولعب الورق والحديث ...

عندما حانت ساعة النوم نهضت " هيلارى " وألقت التحية إلى الجميع واتجهت إلى الفراش ولكنها لم تكد تمشى بضع خطوات في القاعة حتى لمس أحد الخدم ذراعها ثم قال لها هامساً :

– أرجو أن تتفضلى معى ياسيدتى :

نظرت إليه بدهشة وتسمرت في مكانها .. فقال لها الرجل الأسمر بأدب:

– أرجو أن تتبعينى يا سيدتى ...

لم تر بداً من الأذعان فسارت خلف الرجل ثم ألقت نظرة إلى الورا فوجدت عينى " اندروبيترز " معلقتين بها وكأنه يريد أن يلحق بها ...
اتجه الخادم إلى باب سرى فى ركن القاعة فتحه بمفتاح كان يحمله فى جيبه ..

خرج من القاعة إلى دهايز قصير ثم فتح أحد الأبواب فظهر مصعد صغير وطلب منها الدخول ..

بعد أن تحرك المصعد قالت " هيلارى " للخادم :

– إلى أين نحن ذاهبان ؟

– لمقابلة السيد إن هذا شرف عظيم ياسيدتى قلما يناله أحد ..

قالت بدهشة :

– السيد ؟ أى سيد ؟ هل تقصد المدير ؟

– كلا السيد ... سيد الجميع ..

توقف المصعد فخرج منه الخادم و" هيلارى " تتبعه حيث اجتاز ردهة
جميلة وعلى الفور فتح باب فى وسطها فدعاها للدخول ..
وجدت نفسها فى غرفة رائعة تحمل الطابع الشرقى ..
وفى وسط القاعة جلس رجل فوق أريكة وهو يدخل بهدوء ..
وما كادت " هيلارى " تنظر إلى وجهه حتى صيقت ...
كان هو المليونير اليونانى " اريستيد " !!!

الفصل التاسع

قال لها مستر " اريستيد " بهدوء :

- تفضلى بالجلوس يا سيدتى ..

ثم أوماً لها بيده إلى أحد الأرائك فأتجهت إليها دون أن تنطق بكلمة ..

ضحك المليونير وهو يقول :

- من المؤكد أنك تلقيت مفاجأة غير متوقعة .. إن علامات الدهشة تظهر

على وجهك ...

قالت " هيلارى " : بالطبع .. لم أكن أتصور أن ..

ثم عجزت عن إتمام عبارتها .. وكان عقلها يفكر بسرعة .. هل مستر

" اريستيد " هو صاحب كل هذا ؟ إنه هو الذى أنشأ المركز العلمى وموله

ورصد أمواله الطائلة للقيام بالتجارب والأبحاث فيه .. قالت أخيراً :

- نعم ..

- وماذا عن المدير ؟

- إنه موظف لدى مدير العمل ويلقى المحاضرات ويستقبل البعثات وينفذ كل تعليماتى ..

لم تعقب علي أقواله وغرقت فى أفكارها وهى ما تزال غير مصدقة ..
قال الرجل :

- لدينا هنا الكثير من المشروعات فيمكنك أن تطلبى ما تشائين ...

إننى من أغني أغنياء العالم كما تعلمين ولعلك تعلمين أيضاً إننى أحب
فعل الخير وأسعى لراحة الإنسانية وليت كل الأثرياء يفعلون كما أفعل ..

فى البداية قررت إقامة هذه المستعمرة لعلاج مرض الجذام واستقدمت
أعظم الأطباء والعلماء لعلاجهم ، ورصدت الملايين من أجل اكتشاف علاج
ناجح للمرض ، وبعد جهود مضيئة تمكنا من التوصل إلى هذا العلاج وتم
شفاء حالات كثيرة ، ولكن مازالت هناك حالات مستعصية ومازال البحث
جارياً لعلاجها ..

بالاضافة إلى هذا المركز لعلاج الجذام أنشأت مركزاً لعلاج الجدرى
وأخر لعلاج السرطان ..

إن مرض الجذام من أخطر الأمراض كما تعلمين وكان يتم طرد
المرضى إلى خارج المدن وعزلهم ، أما هنا فإنهم يتلقون العلاج
والرعاية.....

والرعاية.....

بالطبع ليست هذه المراكز العلمية لعلاج أخطر الأمراض هي في الأساس .. إنها مجرد ستار أخفى وراءه (مجمع العلماء) ..

قالت " هيلارى " بدهشة :

- مجمع العلماء ؟

- إننى أقوم بجمع أعظم علماء الدنيا هنا فى أماكن خفية من هذه المستعمرة للقيام بأبحاث سرية خطيرة ..

- لا شك أنك تريد أن يبتدعوا أسلحة مدمرة ... فلماذا تسعى للدمار يا مستر "أريستيد" ؟

قال الرجل بهدوء :

- إننى لا أسعى إلى الدمار .. إنك لا تفهمين شيئاً ، فإننى أسعى للخير دائماً .. ورغم ذلك فإننى لا أنسى أنتى رجل أعمال ..

- ماذا تعنى بذلك ؟

- عندما يحصل المرء على هذا القدر الكبير من المال يشعر بأن هناك أشياء تنقصه ويبدأ بالبحث عن أشياء تسليه .. لقد بدأت بهواية جمع الطوابع ثم جمع التحف و اللوحات حتى ضقت بكل ذلك وأخيراً بدأت أجمع شيئاً آخر .. وهو العقول ..

- ماذا تقول ؟ العقول ؟

- نعم .. إنها هواية رائعة للغاية وممتعة إلى أقصى درجة .. هواية جمع عقول العباقرة وبعد وقت قصير سوف أتمكن من جمع أعظم العقول في العالم بداخل هذا المركز .. إننى حريص علي استقدام العلماء الشباب فقط وسوف يأتى يوم قريب على العالم يخلو فيه من العلماء ولا يجدهم إلا هنا فى المركز ، وسيعرضون على مبالغ خيالية لشراء العلماء وفى هذه الحالة سوف أحدد السعر الذى يرضينى ..

- إنهم ليسوا سلعة يا مستر " اريستيد " !

- ماذا يمنع من أن يكونوا كذلك ؟

- أى أنك تقوم بذلك بعيداً عن السياسة ومن أجل المال فقط ؟

- نعم إننى أمقت السياسة ..

- ألا تسعى لأن تحكم العالم ؟

- ولماذا أشغل عقلى بذلك ؟ إننى أفكر وأتصرف كتاجر ورجل أعمال والآن بضاعتى هى العلماء ...

- ولكننى سمعت المدير يخطب خطبة حماسية عن حكم الشباب والعدالة والمساواة والقوة

- إن هذه مجرد كلمات جوفاء تغوى الشباب وتثير حماسهم ..

- كنت أظن أنك تسعى لأختراع أسلحة الدمار الشامل حتى يمكنك أن تهدد بها الدول ...

غرق " اريستيد " فى الضحك ثم قال :

- إن هذا لم يخطر ببالى قط ...

- كيف تمكنت من جمع كل هؤلاء العلماء ؟

- الأمر بسيط للغاية .. لقد اشتريتهم بالمال ومنيتهم بالأحلام العذبة ..
فكما تعلمين فإن الشباب يحلمون دائماً بعالم مثالى ومن السهل التأثير
عليهم من هذه الناحية ، بالإضافة إلى ذلك فإننى أعرض عليهم أجور
ضخمة ...

هذا يفسر لى لماذا لم أجد لديهم عقيدة واحدة وأن لكل منهم عقيدة
تختلف عن الآخر ...

فهذا الأمريكى " بيتريز " يسارى و" ايريكسون " يفكر فى السوبر مان
والانسان المتفوق ، و" هيلدا بندهايم " يمينية متطرفة متحجرة القلب تخلو
من المشاعر الانسانية ، أما الدكتور " بارون " ...
فقاطعها قائلًا :

- إنه رجل يعبد المال وقد دفعت له مبالغ كبيرة ..

ولكنك امرأة شديدة الذكاء يا سيدتى فبرغم المدة القصيرة التى
قضيتها هنا إلا أنك تمكنت من النفاذ إلى حقيقة كل منهم ... إنك شديدة
الذكاء والبراعة وقد سافرت إلى فزان لغرض واحد فقط وهو مراقبتك ...

قالت " هيلارى " بدهشة :

- وماذا يجعلك تهتم بأمرى إلى هذا الحد ؟

- لأن العلماء العباقرة الذين يضمهم المركز لا يتمتعون بالجاذبية ويشعر الإنسان بالملل منهم بسرعة ، كما أن نساءهم يثرن الضجر، وأنت الوحيدة التي تتمتعين بالجاذبية بينهن ...

إننى لا أميل إلى وجود الزوجات هنا إلا فى حالة الضرورة القصوى ، مثلاً عجز الزوج عن الابتكار أو العمل بجدية بسبب قلقة على زوجته ، وهذا ما حدث لزوجك ولكنه خيب ظنى للأسف ...

قالت " هيلارى " :

- ربما توقف عقله بعد أن فقد حريته ... إن الحرية هى أهم شئ بالنسبة للعلماء والمبدعين ولا يمكن أن يبدعوا إلا فى جو من الحرية المطلقة أما هنا فلا شك أنهم يشعرون بالقيود الثقيلة المفروضة عليهم وكأنهم فى سجن حقيقى وتنتابهم الثورة ...

- ولكننا إذا حرصنا على تقديم كل شئ للعصفور فى القفص فلن يثور فلدية الطعام والشراب والرفيقة .. سوف ينسى عندئذ حياته السابقة ولا يفكر فى الحرية ...

قالت بصوت مرتعد :

- إن أراذك مخيفة يا مستر " اريستيد " ...

ولا شك أن العلماء الذين ستبيعهم إلى الآخرين سيرفضون العمل معهم فهم ليسوا سلعة تباع ومن المؤكد أنهم سوف يتمردون على سادتهم الجدد....

إن الحرية ليست عادة ولكنها غريزة كامنة في النفس يعرفها الطفل منذ أن تتفتح عيناه على الدنيا ...

- ولكن هناك ما يعرف بعمليات غسيل المخ ياعزيزتى ، وبمجرد أن تبدو من أحدهم بادرة التمرد سوف تجرى له هذه العملية فيعود كالحمل الوبيع إن هذا يتم بواسطة عقاقير معينة لها فعل السحر ..

قالت " هيلارى " :

- ألا تخشى أن تؤدي هذه العقاقير إلى التأثير في قواه العقلية وقدرة على التفكير ؟

- كلا ... إن هذه العملية لا تؤثر على العقل .. إنها تؤثر على السلوك فقط ...

هتفت " هيلارى " قائلة :

- إن هذا شيء رهيب ...

- لا داعى للقلق يا سيدتى .. إننا نقوم بتجارب رائدة في هذا المجال وقد حققنا حتى الآن نتائج رائعة ...

- هل تجرى هذه التجارب على الحيوانات ؟

ضحك الرجل وقال :

- كلا .. إننا نجريها على البشر ... أهم أفضل من الحيوانات ...

قالت مستنكرة :

- تجرونها على البشر !!

- ولم لا ؟ لقد تبين لنا أن بعض العلماء الذين أحضرناهم إلى هنا
ودفعنا لهم مبالغ طائلة كانوا فاشلين ولم يحققوا أى نتائج فلماذا نبقي
عليهم ؟

- ليس من حقم أن تعاملوهم كحيوانات التجارب ..

- إن كل هذا يتم من أجل خير الإنسانية .. لابد أن يتم التوضيح بعدد
من الأفراد من أجل خير الجميع وسعادتهم ...
شعرت "هيلارى" أنها تتحدث مع رجل مجنون ..

قال المليونير :

- ولكن لماذا تشغلى عقلك بمثل هذه الأمور ؟ إن كل ما يهيك هو زوجك
فهل تخشين أن أجرى عليه هذه التجارب ؟

- إننى الآن أتوقع ذلك لأنه لم يحقق أى انجاز حتى الآن ..

أرجوك أن تطلق سراحه وتعيده إلى بلاده ...

ضحك " اريستيد " بسخريا وقال لها :

- هل جنتت حتى أعيده لبلاده كى يفشى أسرارنا ؟

- كلا .. لن يتحدث بأى شئ وسأجعله يقسم على ذلك ... إنه يفى
بالقسم دائماً ...

تعالى ضحكات الرجل وقال :

- كيف تقولين ذلك وقد أفشى إلينا كل أسرارہ العلمية مقابل ما دفعناه
إليه من أموال ؟

ورغم كل ذلك فإننى على استعداد لإطلاق سراحه بشرط ..

- وما هو ؟

- أن تبقى أنت رهينة لدينا حتى نضمن أنه لن يفشى أسرارنا
فهل توافقين على هذا الشرط يا مسز " بيترتون " ؟

كانت على وشك أن تقول له أن هذا الرجل ليس زوجها ، وإنما لم تره إلا
عندما حضرت إلى المركز ، فلا توجد أى صلة تربطها به ، ولكنها قالت :

- نعم .. إننى أوافق على هذا العرض ...

- إنك امرأة ذكية مخلصه ...

كما إنك تشبهين زوجتى بشعرها الأخر ... لقد رحلت منذ سنوات
وظننت أن جنوة الحب قد انطفأت بقلبي ولكنك أشعلتها مرة أخرى ...

سوف أكون سعيداً للغاية معك ...

نظرت إليه " هيلارى " بخوف ثم هتفت :

- كلا .. لا أريد البقاء .. دعنى أرحل حالاً .. أرجوك أطلق سراحنا ..

نظر إليها نظرة قاسية وقال :

كلا ... سوف تبقيين أنت وزوجك هنا إلى الأبد ...

استيقظت " هيلارى " بعد منتصف الليل على صوت طائرة تشق سكون الليل .. هبت من فراشها وانصت بعناية ..

كان " توم " ينام فى سرير بجوارها فتيقظته وقالت له :

- هل تسمع صوت هذه الطائرة يا " توم " ؟ يبدو أنها تطير على ارتفاع منخفض بالقرب من هذا المبنى ...

قال بصوت يخلبه النعاس :

- إن الطائرات تمر كثيراً فوق هذه المنطقة ...

فهمست قائلة :

- لعلها طائرة جاءت لكى ...

ثم توقفت ولافت بالصمت ..

وما لبث " توم " أن استغرق فى النوم مرة أخرى ، أما هى فقد استوت جالسة فى فراشها وهى تستعيد حديث " اريستيد " إليها ...

لقد اعترف لها العجوز بحبه ...

فهل تستغل هذه النقطة فى لحظة الهروب التى سوف تصنعها ؟ !

من المؤكد أنه سيعاود الحديث إليها مرة أخرى وستجعله يتحدث عن زوجة الراحلة كثيراً ..

إن الشئ الوحيد الذى أيقظ فى قلبه نار الحب هو شعرها الأحمر ..

فمن المعروف عن هذا الرجل زهدة فى النساء ، ويبدو أنه بدأ الآن

يستعيد ذكريات شبابه الجميلة .. إنه يتذكر حبيبته الراحلة التي تركته يعيش
في فراغ عاطفي منذ أيام شبابه ...

ترى هل يمكنها أن تخضعه لسلطان حبها وتقنعه بالرحيل معها ؟
إن الخروج من هذا المكان بات حتماً صعب المنال أن تفعل كل ما في
وسعها من أجل تحقيقه .. نعم لابد من الفرار من هذا السجن ...

دخل المفتش " ليبلان " على " جيسوب " وهو مشرق الوجه وقال له :

- أخيراً تلقينا رسالة بالشفرة ...

ثم نشر ورقة كانت بيده وقال :

- كان أحد طيارينا فوق الصحراء بجوار جبال أطلس ..

قال " جيسوب " :

- وماذا قال في تقريره ؟

- تلقى رسالة بالشفرة في موقع بالمنطقة الجبلية .. إنها إشارة لاسلكية

بطريقة " موريس " وقد كررها المرسل ثلاث مرات ...

كانت الرسالة تحمل ثلاث كلمات فقط هي (كوج جذام سيل) ..

قال " ليبلان " :

- كوج هي كلمة السر وتعني أن الرسالة من قبل أحد عملائنا وليست
مدسوسة علينا ، وكلمة سيل هي شفرة (لا أعلم شيئاً) أما الجذام فمعناها
واضح ...

قال " جيسوب " :

- هل توجد في هذه المنطقة مستعمرات للجذام ؟
- لا أعلم .. ولكن يمكننا أن نعرف كل شيء حالاً ..
وعلى الفور نشر خريطة على المكتب وأخذ يفحصها ثم أشار إلى موضع
بها وقال :

- كان الطيار يحوم فوق هذه المنطقة ..
وبعد قليل أشار إلى نقطة حمراء اللون وهتف قائلاً :
- هاهي مستعمرة للجذام .. إننا نسير في الطريق الصحيح ...

قال " جيسوب " :

- ومن الذى يديرها ؟ هل هي الحكومة الفرنسية ؟
- لا أعلم ... انتظر ..
غادر الغرفة ثم عاد يحمل مجلداً ضخماً أخذ يقلب في صفحاته ثم توقف
عند صفحة معينة وقال :

- لقد أنشأ هذه المستعمرة رجل من كبار الأغنياء اشتهر بحبه للخير

وتتضم مركزاً علمياً لعلاج أمراض الجذام والسرطان والجدرى وبها حوالى مائتا مريض تحت إشراف أشهر الأطباء الذين يقومون بأبحاث علمية شاقة من أجل التوصل لعلاج للجذام ..

كما أن هذا المركز فوق الشبهات فهو تحت إشراف رئيس الجمهورية ..
قال " جيسوب " :

- رائع .. رائع ... أرجو أن تواصل القراءة ..

قال " ليبلان " :

- ومن حين لآخر تقوم بعض البعثات العلمية بزيارة المركز وتتضم المشاهير والعلماء والأطباء وتقوم بالإطلاع على أحدث ما توصل إليه ..
ودائماً ما تعود هذه البعثات وهى راضية عن العمل فى المركز كل الرضا ولا يشك أحد فى أى شئ ..

- بالطبع لأنهم لا يرون ما يريد القائمون علي الأمر أن يروه ولا شئ غيره ..

إننى أشعر بأن هذا المركز يخفى وراءه نشاطا غريباً .. إنه أصلح مكان لإخفاء الأنشطة غير المشروعة ..

قال " ليبلان " متريداً :

- ربما .. فقد يكون هذا المركز الحصين هو إحدى المحطات التى يستريح بها العلماء قبل مواصلة رحلتهم إلى المحطة النهائية ..

قال " جيسوب " وقد تألقت عيناه بالذكاء :

- أعتقد أن هذا المركز هو نفسه المحطة النهائية ...

قال المفتش " ليلان " :

- ما الذى يملك على هذا الظن ؟

- إن العلم تقدم كثيراً ولم تعد هناك حاجة لعزل مريض الجذام عن

الناس ، بل يمكن علاجه وسط الآخرين والحيلولة بون وقوع العدوى ..

إنن فهذه المستعمرة مقامة لغرض آخر لا علاقة له بأعمال الخير ..

إنها مجرد ستار يخفى هذه الأعمال ...

قال " ليلان " :

- إن المليونير " اريستيد " صاحب المركز رجل فوق مستوى الشبهات

من أغنى أغنياء العالم ومعروف بحبه لأعمال البر والإحسان وله العديد

من المستشفيات الخيرية فى فرنسا وغيرها ...

- لعلك نسيت أنه كان فى " فزان " فى نفس الوقت الذى كانت فيه

" أوليف بيترتون " هناك :

- إن هذا شئ عجيب للغاية ...

- ولكن هناك مخاطرة شديدة أن نتهم هذا الرجل بون وجود دليل

معنا....

إنك لا تتصور مدى النفوذ الكبير الذى يتمتع به الرجل ... إنه يستطيع

التأثير فى كل المنشآت والدوائر الحكومية والمؤسسات والصناعات الكبرى

ومصانم الاسلحة وشركات النقل والطيران

وبإمكانه إسقاط الحكومات ...

ورغم أنه يعيش فى عزلة بقصره فى أسبانيا إلا أن أمواله تلعب دوراً
كبيراً فى عالم السياسة ...

فالجميع يمتلكون لأوامره وينفذون رغباته ...

إنه يحرك الجميع من وراء ستار ولذلك فلا بد أن يتوافر لدينا أى دليل
قبل القيام بخطوة واحدة ...

– سوف نتمكن من العثور على هذا الدليل ...

– إذا لم نعثر عليه فسوف نفقد وظائفنا ...

قال " جيسوب " :

– كلا .. فسوف نتجح يا صديقى ...

الفصل العاشر

أخيراً وصلت سيارات الوفد رفيع المستوى إلى المركز ثم توقفت أمام البوابة الرئيسية ...

كانت أربعة سيارات ، فى الأولى أحد الوزراء ومعه السفير الأمريكى بباريس ، وفى الثانية القنصل الانجليزى بالمغرب وعضو بالبرلمان الفرنسى ومدير شرطة باريس ، فى الثالثة عضو فى مجلس العموم البريطانى ورئيس سابق للمحكمة العليا بالإضافة إلى اثنين من كبار الصحفيين ...

أما السيارة الرابعة فكانت تقل مفتشى المخابرات الشهيرين مسيو "ليبلاى" ومسيو "جيسوب" ...

وعلى الفور فتح الحراس البوابة الرئيسية ودخلت السيارات بينما اصطف عدد من أبرز القيادات بالمركز لاستقبال هذا الوفد الرفيع المستوى ...

غمغم الوزير قائلاً :

- أرجو أن تكون الاحتياطات قد تم اتخاذها حتى لا نتعرض للخطر ...

قال المفتش " ليلان " :

لا تخشى شيئاً ياسيدى .. اننا لن نفترق من المرضى بل سنراهم عبر
الحواجز ...

كان على رأس المستقبلين مدير المركز وبعض كبار الأطباء ..

وبعد تبادل التحية قال الوزير :

- أرجو أن يكون مستر " اريستيد " قد حضر كما وعد ...

قال نائب المدير :

- لقد عاد مستر " اريستيد " من أسبانيا بالأمس كي يتشرف بمقابلتكم
وهو الآن ينتظركم فى مكتبه فأرجو أن تتفضلوا معى ..

تقدمهم نائب المدير وساروا خلفه ...

رأى الضيوف المرضى خلف الأسلاك الشائكة وهم يحدقون فيهم
بنظرات حزينة تقطع القلوب فشعروا بالأسى من أجلهم ...

وأطمأن الوزير إلى أن جميع الاحتياطات قد اتخذت وأنهم فى أمان تام
من العدوى ..

دخل الضيوف إلى مكتب مستر " اريستيد " الفخم وراحوا يتأملون كل ما
فيه بإعجاب ...

رحب مستر " اريستيد " بالضيوف بحرارة وأبدى ارتياحة بزيارتهم للمستشفى والمعامل ، وتحدث عن أحدث الطرق والاكتشافات التي تم التوصل إليها لمعالجة هذا المرض اللعين بينما كان الجميع ينصتون إليه...

قال أحد الصحفيين مخاطباً مستر " اريستيد " :

- دعنى أهنتك على هذا العمل الرائع يا مستر " اريستيد " ، إنك خير نموذج لرجل الخير والبر بالإنسانية وليت جميع الأغنياء يفعلون معشار ذلك...

قال " اريستيد " :

- إننى فخور بهذا المكان الذى كنت أظنه حلماً بعيد المنال ، ولكننى لم أبخل بشئ عليه حتى أصبح بهذه الصورة الرائعة وإننى أهديه للإنسانية ..

قال أحد الأطباء :

- إن هذا المركز مزود بأحدث الأجهزة فى العالم ولن يحلم العلماء بمكان أفضل من هذا أبداً ، وقد حققنا نتائج رائعة حتى الآن ...

قال " اريستيد " :

- وبالتوفيق من الله حققنا هذا النجاح ...

همس عضو البرلمان فى أذن رئيس المحكمة العليا قائلاً :

- ياله من عجوز منافق ...

إنه يتظاهر بالتقوى والورع أمامنا ، ولا يعلم إلا الله كم عدد البيوت التي خربها بمضاريباته ...

قال القاضي :

- نعم .. وقد تم التوصل إلى أعظم الاكتشافات العلمية بإمكانيات ضعيفة للغاية ولم يكن الأمر يحتاج إلى كل هذه المظاهر ...

قال مستر " اريستيد " :

- من نواعى سرورنا أن نتفضلوا بتناول الطعام معنا ، وسوف ينوب الدكتور " فان هايديم " عنى فى ذلك لأننى أتبع نظاماً غذائياً معيناً وبعد الطعام سوف تشاهدون المعامل وسيجيب الدكتور " فان هايديم " على تساؤلاتكم ...

كان الطعام رائعاً للغاية نال استحسان الجميع بما فيهم الوزير الذى اثنى على الطعام كثيراً ...

قال الدكتور " فان هايديم " :

- إننا نهتم بالطعام هنا اهتماماً بالغاً ونقدم أحسن الأنواع منه للعلماء والمرضى على السواء

ولدينا هنا ثلاثيات ضخمة تحتوى على الفواكه والخضروات الطازجة واللحوم وكل أنواع الطعام التى تصل إلينا بواسطة الطائرات مرتين أسبوعياً

وبعد الطعام تناولوا القهوة ثم بدأوا فى تفقد المعامل واستغرقت الزيارة

حوالى ساعتين ، أجاب الدكتور " فان هايديم " على كل الأسئلة ..
كان الوزير يتقدم الجميع ويجواره الدكتور " فان هايديم " ، أما
"جيسوب" و" ليلان " فقد سارا فى المؤخرة عامدين ...
أخرج " جيسوب " من جييبه ساعة كبيرة وتطلع فيها ثم هز رأسه بأنسف
قال له " ليلان " :

- ألم تجد أى شئ حتى الآن ؟

- كلا ...

وفى كل مكان كانوا يمرون فيه يسأل " ليلان " هذا السؤال ويتلقى نفس
الإجابة :

- لا يوجد ما يدل على وجودهم هنا حتى الآن ...

قال " ليلان " :

- يبدو أنهم نقلوهم إلى مكان بعيد حتى لا نلتقي بهم .. ولكن لابد لنا من
الحصول على الدليل حتى يمكننا التصرف ...

إننا بدون هذا الدليل سنقف عاجزين مكتوفى الأيدى فالجميع كما ترى
مبهورون بهذا المكان ولا يمكن أن يصدق أحدهم أن " اريستيد " هو الذى
اختطف العلماء ...

قال " جيسوب " :

- أشعر بأننا سوف نحصل على الدليل قبل مغادرة هذا المكان ...

- من الواضح أنك مفرط فى التفاؤل ...

قال " جيسوب " :

- هل تعلم ما هذه الساعة التى أحملها ؟ إنها من أحدث أجهزة الاستقبال وهى تستقبل ذبذبات جهاز آخر يحمله بعض عملائنا ولكن ليس على مسافة أكثر من مائة متر ، ومازال لدى الأمل فى أن أتلقى هذه الذبذبات هنا ، ولاشك أننا حتى الآن لم نقرب منه بالدرجة الكافية ...

- أتمنى أن يتحقق هذا الأمل ...

ولكن هذا ليس دليلا قاطعا وإن يقتنع به الوزير أبداً ... ماذا تعنى ذبذبة فى الجهاز ؟

لابد أن يرى بعض هؤلاء المختطفين هنا أمام عينيه

- سوف يراهم ... ولكننى لا أهتم بالوزير أو السفير أو أعضاء البرلمان فإن لكل منهم توجهاته السياسية وجميعهم يحرصون على إرضاء جميع الأطراف .. إننى أهتم برجل عجوز ضعيف البصر

- بقصد رئيس المحكمة العليا السابق ؟

- نعم .. إنه له أنف شديد الحساسية يشم رائحة الفساد على بعد ، ولا يوجد ما يحول بينه و التصدى له .. إنه يواصل الإنصات بصبر وأناة حتى يعثر على الدليل ...

أخيراً انتهت الجولة وعاد الضيوف إلى مكتب مستر " اريستيد " وراح الوزير يهنئ المليونير على هذا العمل العظيم وتبعه السفير وأعضاء الوفد جميعاً

نظر الوزير حوله بعصبية وقال :

- والآن أعتقد أن الوقت قد حان كي ننصرف من هنا لقد شاهدنا كل شئ وليس هناك ما يستحق أن نشاهده ...

وخلال نطقة بالعبارة الأخيرة نظر نحو " جيسوب " و " ليبلان " وكأته يقول لهما (هل رأيتم مدى حماقتكم ؟)
ثم استطرد قائلاً :

- وأقرر أمامكم أن هذا المركز من أعظم ما شهدت في حياتي وأعتقد أنه لا يوجد له مثيل في العالم ...

شعر " ليبلان " و " جيسوب " بأن الرجل يسخر منهما ويتساعل أين اختفى العلماء الذين زعمتم أنهم موجودون هنا ؟ هل ابتلعهم الأرض ؟
وهنا ارتفع صوت " جيسوب " قائلاً :

- عفوا يا سيدى الوزير .. أريد أن أوجه سؤالاً لضيقتنا الكريم ...

أذن له الوزير فقال " جيسوب " :

- لقد التقينا بعدد كبير من العلماء والأطباء ولكننى كنت أريد مقابلة صديق قديم علمت أنه موجود هنا ...

فهل يمكن استدعاؤه

قال الدكتور " فان هايديم " متعجباً :

- صديق لك يعمل معنا ؟

- بل اثنين .. سيدة تدعى " أوليف بيترتون " وزوجها العالم الذى كان يعمل فى مركز " هارويل " فى انجلترا وقبل ذلك كان يعمل بالولايات المتحدة

فهل يمكن أن أتحدث إليهما ؟

كان تصرف الدكتور " فان هايديم " مثالياً فلم تختلج عضلة من وجهه بل ظهرت علامات الدهشة عليه وقال باستغراب :

- " بيترتون " .. " بيترتون " .. لا يوجد لدينا أحد يحمل هذا الاسم ..

قال " جيسوب " :

- ويوجد أيضاً شاب أمريكى يدعى " اندرو بيترز " .. وهو باحث كيمائى...

ثم سأل السفير الأمريكى قائلاً :

- أليس كذلك يا سيدى ؟

- نعم ... إننى أحب أن أقابله ..

فازدادت دهشته " فان هايديم " وقال :

- " اندرو بيترز " .. إننى لم أسمع بهذا الاسم من قبل ، وأنا واثق أنه

لا يوجد معنا بالمركز من يدعى " بيترز "

قال " جيسوب " بلهجة التحدى :

- ولكن من المؤكد أنك سمعت عن " توماس بيترتون " ؟

ألقى " فان هايديم " نظرة سريعة إلى مستر " اريستيد " ثم قال :

- " توماس بيترتون " .. أعتقد أنه

فقاطعة أحد الصحفيين قائلاً :

- إنه العالم الذى اختفى فجأه وكان حديث الصحف خلال الشهور

الماضية .. لقد اختفى فى باريس أثناء حضوره لمؤتمر علمى هناك وقد

فشلت جهود رجال البوليس فى العثور عليه .. هل تعتقد يا مستر " جيسوب "

إنه موجود هنا ؟

قال " فان هايديم " بعصبية :

- ماذا تقول يا سيدى ؟ لا شك أن لديك معلومات خاطئة ناتجة عن

إشاعة كاذبة مفرضة .. لقد رأيت بنفسك كل شئ ...

قال " جيسوب " بإصرار :

- كلا .. إننا لم نر كل شئ .. فهناك رجل يدعى " ايريكسون " وايضاً

الدكتور " لويس بارون " وربما كانت مسز " كالفن بيكر " هنا أيضاً ...

قال الدكتور " فان هايديم " وكأنه تذكر شيئاً :

- يبدو أنك تتحدث عن هؤلاء الأشخاص الذين قتلوا فى حادث سقوط

طائرتهم بالمغرب .. لقد طالعت هذا النبا فى الصحف منذ حوالى أسبوعين

إنها خسارة فادحة لفرنسا .

فالدكتور " بارون " من العلماء الأفاضل أما مسز " كالفن بيكر " فلم أسمع عنها ، وربما كان بين الركاب مسز بيترتون التي تحدثت عنها ...

– أى أنهم غير موجودين هنا ؟

– كيف تعتقد أنهم هنا رغم ان البوليس عثر علي جثثهم بين حطام الطائرة ؟

قال " جيسوب " بكلمات واضحة :

– لقد كانت الجثث متفحمة ولا يمكن التعرف علي شخصيات أصحابها...

وهنا ارتفع صوت أجش قائلاً بلهجة صارمة :

– هل تعنى أنه لم يتم التعرف على أصحاب هذه الجثث ؟

كان المتحدث هو اللورد " الفير ستوك " رئيس المحكمة العليا السابق فقال " جيسوب " :

– نعم يا سيدى اللورد .. لقد كانت الجثث متفحمة تماماً ولذلك افترض رجال البوليس أنها هى جثث ركاب الطائرة ، ولكن لدى أسباباً قوية تجعلنى واثقاً أن ركاب الطائرة الأصليين مازالوا على قيد الحياة ...

قال اللورد " الفير ستوك " :

– إن اعتقادك هذا لا يعد دليلاً يا مستر " جيسوب "

– بل يوجد لدى دليل يا سيدى اللورد .. فعندما غادرت مسز " بيترتون " فزان كانت تتزين بعقد من اللؤلؤ المقلد ، وقد عثرنا على حبة من هذا العقد

بالقرب من حطام الطائرة ...

قال القاضي :

- وكيف تأكدت أنها من نفس عقد مسز " بيترتون " ؟

قال " جيسوب " :

- لأن هناك علامات سرية بجميع حبات العقد لايمكن رؤيتها بالعين المجردة بل تظهر بالعدسة المكبرة ، وقد وجدنا هذه العلامة على الحبة التي عثرنا عليها ...

- ومن الذى وضع العلامة على الحبات ؟

- أنا ...

- ولماذا فعلت ذلك ؟

- من أجل الوصول إلى " توماس بيترتون " من خلال زوجته .. لقد صدر أمر بالقبض على الرجل لإفشائه أسرار خطيرة تمس أمن الدولة ...

وقد عثرنا على عدد من الحبات فى مواضع أخرى تقع بين المكان الذى سقطت فيه الطائرة وبين هذا المركز ، وقد أفادت التحريات بمرور عدة أشخاص تتطابق أوصافهم مع ركاب الطائرة المحترقة ...

وهناك دليل آخر فقد زودت أحد الركاب بقفاز يده مغطاة بالفسفور وأوصيته بأن يخرج يده من السيارة فى الظلام حتى يظن الأهالى البسطاء ان يده تضى وأن أحد أصحاب الكرامات مر بقريتهم لما يساعدنا على اقتناء أثرهم .

وقد علمنا أن العديد من الأهالي شاهدوا هذه اليد المضيئة في السيلرة
التي اتجهت إلى هذا المركز ...

تألفت عينا اللورد " الفير ستوك " وقال :

- رائع .. إن كل ما فعلت يا مستر " جيسوب " يدل على الدهاء وسعة
الحيلة ورغم ما أبداه مستر " اريستيد " من ثبات الأعصاب إلا انه تامل
في مقعدة وبدأت علامات اضطراب على وجهه ..

اعتدل القاضي وقال :

- أين عثر على آثار هذه المجموعة ؟

- في أحد المطارات الحربية المهجورة ...

ثم بسط " جيسوب " خريطة معه وأشار إلى موقع المطار فقال " اريستيد " :

- إن هذا المطار يقع على بعد مئات الأميال من هنا فكيف علمت أن هذا
الحادث كان مصطنعاً وأنتا نقلنا هؤلاء الأشخاص إلى المركز ؟ ولماذا
نفعل ذلك ؟

قال " جيسوب " :

- هناك أسباب قوية تدفعني لأن أقول ذلك ، فقد أرسلنا طائرة لمسح
المنطقة وعند مرورها فوق هذا المركز تلقت إشارة لا سلكية خاصة بواسطة
جهاز لاسلكي كنا قد زدنا به أحد ركاب الطائرة المفقودة ، وفهمنا من
الرسالة أن هؤلاء الذين نبحت عنهم موجودون هنا .

قال " اريستيد " ساخراً :

- أعتقد أنك وقعت ضحية لمؤامرة الهدف منها مجرد تضليلك بالاضافة
إلى الإساءة إلينا ...

أؤكد لك أنه لا يوجد لدينا أحد من هؤلاء الذين ذكرت أسماعهم ...
ويمكنك أن تفتش المبنى إذا أردت ...

قال " جيسوب " :

- وبماذا يفيد تفتيش المبنى ؟ إننى واثق أننا لن نعثر على شئ ، وقد
قمنا بجولات عديدة فيه دون ان نرى شيئاً ...

قال " اريستيد " :

- إن أقوالك متناقضة مع بعضها يا مستر "جيسوب" ... لقد أكدت منذ
لحظات أنهم هنا ثم قلت الآن أن التفتيش لن يؤدي للعثور عليهم .

- نعم .. لأنهم موجودون فى مكان خفى ...

- هل يمكنك تحديد هذا المكان السرى ؟

ابتسم " جيسوب " وهو يقول :

- نعم .. يوجد هذا المكان فى الدهليز الرابع الذى يقع أمام المعمل رقم
(٣) فى أقصى اليسار ...

وعلى الفور تململ الدكتور " فان هايديم " فى مقعده وظهر الاضطراب
على وجهه فتظاهر بأنه يثبت نظارته على عينيه ولكن النظارة سقطت على

الأرض من فرط ارتعاش أصابعه ...

فقال له مستر " جيسوب " ساخراً :

- هل رأيت يا دكتور أن معلوماتي صحيحة ؟

قال الدكتور بانفعال :

- إن هذه إهانة لا نقبلها .. ان ما تقوله خطير للغاية .. فكيف تزعم انتا

نسجن هنا بعض الأشخاص ؟ !

إننى أنكر كل ذلك بشدة ...

- هل تعلم كيف عرفت ذلك ؟ إن أحد رجالنا انضم إليكم على أنه من

العلماء ، وقد زودناه بجهاز لا سلكى يرسل ذبذبات معينة وعندما كنت أمر

فى هذا الموضع تلقيت الذبذبات الصادرة من هذا الجهاز ...

قال الوزير :

- يبدو أننا نقف فى مفترق الطريق فأحد الأطراف يؤكد والطرف الآخر

ينفى بشدة ..

قال المليونير بهدوء :

- إننى سعيد للغاية بسماع هذه القصة الطريفة التى ذكرها مستر

"جيسوب" ويناها على افتراضات خاطئة .. كما أننى سعيد بزيارتكم وأعتقد

أن الوقت قد حان لانصرافكم حتى أتمكن من العودة إلى أسبانيا فوراً ...

ولا أريد أن يطول بقاءكم هنا أكثر من ذلك حتى لا تقلق حكوماتكم ويظن

الجميع أن طائرتكم قد تحطمت ...

أدرك " جيسوب " و " ليبلان " أن اللحظة الحاسمة قد جاءت وأن الرجل يحاول استخدام نفوذه في إنهاء الموقف لصالحه ويتحدى الجميع ، بينما كان الوزير يشعر بالحرج ولا يعرف كيف يتصرف

والجميع حريصون على عدم إثارة المشاكل مع المليونير حتى لا تتأثر حكوماتهم بما قد يفرض عليها من عقوبات ..

أدرك " جيسوب " ان اى محاولة للاستعانة بأحد رجال الوفد هي محاولة فاشلة تماماً ، ولم يجد أمامه سوى القاضى العجوز ..

أخذ يتأمل بهشة وقال لنفسه :

- إنه لن يستطيع شراء هذا العجوز بكنوز الدنيا ...

وفى هذه اللحظة انطلق صوت القاضى وهو يقول بلهجة صارمة :

- أرجو أن تتمهلوا قليلاً أيها السادة فأمامنا قضية تستحق التحقيق فالاتهامات فى غاية الخطورة ولا بد أن نتاح الفرصة لتأكيدهما أو تفنيدهما ...

قال " اريستيد " وقد نفذ صبره :

- القاعدة القانونية تقول أن البيئة على من أدعى ، وعلى مستر "جيسوب"

إقامة الدليل على اتهاماته

وهنا تصاعد صوت غريب من أقصى القاعة قائلاً :

إن جميع الدلائل حاضرة هنا أيها السادة ...

لم يكن صوت " جيسوب " أو " ليبلان " أو القاضى بل كان صوت خادم

من البربر أسمر الوجه يرتدى ملابس الخدم ...

استدار الجميع إلى هذا الخادم بما فيهم الدكتور " فان هايديم " بينما
قال الشاب :

- إن جميع الدلائل حاضرة أيها السادة .. لقد أنكروا وجود " اندروبيترز "
و " تروكيل ايريكسون " والدكتور " بارون " ومسز " بيترتون " ولكنهم
كانيون...

لأن جميع هؤلاء وغيرهم من أشهر العلماء موجودون هنا وأنا أتحدث
بلسانهم

ثم تقدم الخادم ووقف أمام السفير الأمريكى وقال له :

- من المؤكد أنك لا تعرفنى وأنا على هذه الصورة ...

إننى " اندروبيترز " ..

شهق مستر " اريستيد " شهقة خافتة بينما راح السفير يحملق فى وجه
الخادم الزنجى وقد تحقق انه هو " بيترز " متنكراً ...

قال " اندروبيترز " :

- لدينا هنا عدد كبير من أعظم علماء العالم " شوارتز " الألمانى ..
" هيلدانهائم " الألمانى .. " جيفرى ودافيدسون " الانجليزيان .. " بلويد "
الأمريكى .. " بيانكو " الايطالى .. وغيرهم كثيرون .. إن الجميع هنا فى
هذا المبنى ...

نعم انهم هنا فيما يعرف بجناح الطوارئ ، ولهذا الجناح باب سرى فى
أحد الجدران بالدھليز لايمكن أن يكتشفه المرء بسهولة ...

هاتف السفير الأمريكى قائلاً :

- نعم أنك "بيترز" .. ولكن كيف فعلت بنفسك كل ذلك ؟

- بحقنة من البارافين أصبحت شفاهى غليظة ، وبعد ذلك صبغت وجهى
بهذه الصبغة ...

وقد كان مستر " جيسوب " يقصدنى عندما قال أنه نجح فى دس أحد
عماله هنا ، وقد أرسلت تلك الإشارة اللاسلكية باستخدام إشارة موريس
للطيار الذى كان يمسح المنطقة بواسطة هذا الجهاز ..

ثم أخرج علبة سجائره وقال :

- إن الجهاز مخبأ داخل هذه العلبة ...

قال السفير :

- حتى أتأكد أنك " اندرو بيترز " فما هو رقمك السرى فى المخابرات ؟
واسمك الحركى وعلى الفور ذكر الرقم والاسم فقال السفير :

- نعم .. إن هذا هو " اندرو بيترز " بالتأكيد ...

قال الوزير متردداً :

- لقد زعمت أن كل هؤلاء اللى هماء مسجونون بغير إرادتهم ...

- بعضهم فقط .

- لا بد من التحقق من صدق هذا الادعاء ...

فتقدم مدير الشرطة إلى مستر " اريستيد " الذى قال :

- يبدو أن القائمين على أمر هذا المركز قد خانوا الأمانة هذا إذا صحت مزاعم مستر " جيسوب " ...

ثم وجه نظرة صارمة إلى الدكتور " فان هايديم " ومدير المركز وكأته يأمرهم بالتزام الصمت ثم استطرد قائلاً :

- إن الذى حدث منكما يعد خيانة للأمانة وإهدار لقيمة العلم والعلماء .. إننى لم أنشئ هذا المركز ليكون سجنًا للعلماء .. كلا .. لقد أنشأته لخدم الإنسانية ويعلى قدرها وتركت مسئولية إدارته بين أيديكم ، فإذا صحت مزاعم مستر " جيسوب " وكان هناك علماء محتجزون هنا فأرجو إطلاق سراحهم فوراً ..

قال المدير :

- ولكننى يا سيدى ...

قاطعة " اريستيد " بلهجة صارمة :

- أريد أن ينتهى كل شئ فوراً .. أيها السادة الضيوف .. أؤكد أننى لأعلم أى شئ مطلقاً عما يدور هنا .. لقد خانوا ثقتى ولابد أن يعاقبوا .. أرجو أن تتخذوا ما يلزم من الإجراءات أما أنا فسوف انصرف حتى ألحق بموعدى ...

وانحنى أمامه الجميع بما فيهم الوزير والسفير ...

فلا يجروء أحد على التعرض له بأذى بسبب ثروته ونفوذه ، وكان الرجل واثقاً تمام الثقة أنهم سيتكتمون أخبار هذه الفضيحة ؟ !

مجموعة قصص أجاثا كريستي

ترجمة الأستاذ / محمد عبد المنعم جلال

- | | |
|--------------------|-----------------------|
| * اللغز المثير | * جريمة فى العراق |
| * القاتل الغامض | * العميل السرى |
| * جريمة فوق السحاب | * أدلة الجريمة |
| * الجريمة المعقدة | * اختطاف رئيس الوزراء |
| * المتهم البريء | * قتل فى المترو |
| * الجريمة الكاملة | * الرسائل السوداء |
| * مغامرات بوارو | * التضحية الكبرى |
| * الساحرة | * ذكريات |
| * ابواب القدر | * سر التوأمين |

بالمملكة العربية السعودية

مكتبة دار الشعب

ت : ٤١١٢٠٧ الرياض



مكتبة معروف

بمسرة : ٨٢٨ - ٨٨١ / ٤٨٦١٢٥ تليفون ٨٩ - ٤٢٢
القاهرة : ٢٦١١٢٢٩ فاكس ٣٧٠٠ الإسكندرية